**مجلة البيان ، السنة العاشرة ، العدد 99 ، ذو القعدة 1416هـ / أبريل 1996م**

دراسات دعوية

## الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة

**د . عدنان علي رضا النحوي**

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : 108]

هذه هي الدعوة الإسلامية ، وهذا هو جوهر خصائصها الربانية ، وتمضي الآيات البينات والأحاديث الشريفة تفصل خصائص الدعوة الإسلامية ، وخصائص دعاتها ورجالها ، فاستمع إلى قوله (سبحانه وتعالى) : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاْ وقال إنني من المسلمين ﴾ [ فصلت : 33] .

فهذه هي أولى خصائص الدعوة الإسلامية : الدعوة إلى الله ورسوله ، الدعوة إلى الإيمان الحق والتوحيد الصافي ، ثم ينعكس هذا الإيمان والتوحيد إلى عمل صالح في واقع الحياة ، إلى ممارسة إيمانية تتجلى فيها خصائص الإيمان وعظمة التوحيد .

إنه توحيد لا شرك معه أبداً : ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب ﴾ [الرعد : 36] .

لقد كانت قضية الإيمان والتوحيد هي القضية التي عرضها القرآن الكريم في كل سورة من سوره ، حتى أصبحت محور كتاب الله ومحور كل سورة ، ومنها تنبثق سائر القضايا في كتاب الله وبها ترتبط ، وحولها يدور القصص في القرآن ، ومن أجلها تُعرض آيات الله في الكون ، وتُعرض أحداث التاريخ وشواهده .

لذلك : ومن أجل هذه القضية أولاً تقوم الدعوة الإسلامية في الأرض لتحمل هذه القضية إلى الناس كافة ، في العصور كلها ، حتى تقوم الساعة ، ولم يكن القيام أمراً بشرياً من قائد أو سلطان ، بل كان أمراً من عند الله توالت الآيات والأحاديث

على تأكيده ، وعلى بيان تفصيلاته وميادينه وقواعده .

**إنها هي دعوة الحق وحده :**

 له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم
بشيء 
[الرعد : 14] .

ووقفة مع تلك الآية ، تبرز لنا خصائص الدعوة الإسلامية ، فمن
خصائصها :
أنّ نهجها ودربها وأهدافها ووسائلها وأساليبها تنبع كلها من كتاب الله ، ينطلق بها
المؤمنون على ضوء الواقع الذي يمضون فيه .

فمن كتاب الله والواقع الذي تسير فيه الدعوة يقوم النهج والخطة ليجتمع
العاملون المؤمنون الصادقون عليه فلا يتفرقوا :
 شرع لكم من الدين ما وصَى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به
إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه  [الشورى : 13] .

إنه دين واحد مع كل الأنبياء والمرسلين ، ودعوة واحدة تقوم على هذا الدين ،
إنه دين الإسلام ودعوة الإسلام ، جاء أمر الله أن لا يتفرق المؤمنون فيه :
 ... أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...  لقد كانت هذه الدعوة التي
يلتقي عليها المؤمنون مصدر فزع كبير للمشركين على مر العصور
والأجيال ، فإذا تفرقوا خالفوا أمر الله فنزع الله مهابتهم من قلوب
أعدائهم .

وتتوالى الآيات الكريمات لتبين خصائص هذه الدعوة الربانية وجوهرها
ومراحلها :  فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ...  الآية
[الشورى : 15] .

لقد كانت هذه الدعوة على هذا النحو وبهذه الخصائص كبيرة على المشركين
حين شعروا أنها تزلزل أركان الظلم في الأرض وتزلزل الظالمين ، وتهزّ الفساد
والمفسدين ، وتظل حرباً على المجرمين ، أخذهم الفزع حين انطلق بها محمد -
صلى الله عليه وسلم- ، وسيظل الفزع يأخذ المجرمين المعتدين ، والظالمين
المفسدين أبد الدهر .
 فلذلك فادع ..  نعم ! ادع إلى هذا الأمر العظيم ، إلى شهادة « أن لا إله

إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، إلى الإيمان والتوحيد ، إلى منهاج الله قرآناً وسنة
 واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ...  فالاستقامة على هذا النهج أمر من
عند الله كذلك ، حتى لا ينحرف الدعاة ولا يتبعوا أهواء المشركين ودعواتهم من
اشتراكية أو شيوعية أو حداثة أو ديموقراطية أو غير ذلك من الأهواء !
وتتكرر قضية الالتزام والاستقامة على دين الله دون انحراف في منهاج الله :
 فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير * ولا
تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا
تنصرون  [ هود : 112-113] ، إنها استقامة كما أمر الله ، يمضي بها
القادة والجنود ، دون طغيان أو انحراف ، فالله رقيب عليهم ، عليم بما يصنعون .
ثم تأتي الخصيصة المهمة ، ألا وهي : عدم الركون إلى الظالمين المجرمين
المفسدين فمن يركن لهم فستمسه النار ، ولن يجد له أولياء من دون الله ، ولن يجد
النصر مهما غرّته زخارف الركون وزينة الانحراف وفتنة الطغيان .
إن عدم الركون إلى الظالمين يعني أن الولاء الحق الأول هو لله (سبحانه
وتعالى) ، وأن العهد الحق الأول هو مع الله (سبحانه وتعالى) ، وأن الحب الأكبر
هو لله ولرسوله ، وأنه من هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر ينبثق كل
ولاء في الحياة الدنيا وكل عهد وكل حب ، فإذا لم تستقر هذه الحقائق في القلوب
والنهج والمسيرة ، فما أسهل الانحراف وما أيسر الركون إلى الظالمين ، إن
اضطراب الولاء والعهد والحب يعني كذلك اضطراب التصور للألوهية والربوبية ،
واضطراب تصور عبودية الإنسان لربه وخالقه .
إن هذه الخصائص يجب أن تستقرّ في قلوب الدعاة ، قادة وجنود ، وتُرَبّى
الأجيال عليها ، وتُغْرس في نفوس الناشئة ، وتكون محور المنهاج للدعوة وللتربية
والبناء ، ولإعداد الأجيال المؤمنة ، ويظل التأكيد عليها في جميع مراحل الدعوة .

وتمضي الآيات تفصل خصائص الدعوة الإسلامية ، حتى يتضح الدرب
وتشرق الأهداف ، وتتميز المراحل والمسؤوليات :
 وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوَكم  [الأنفال : 6] ، إن إعداد هذه القوة ضرورة للدعوة الإسلامية ، وحتى
ينجح هذا الإعداد يجب أن تتوافر الخصائص التي سبق ذكرها كلها ، وأن يكون من
ثمرة هذه الخصائص أمران : الأول : أن تكون الدعوة الإسلامية جبهة واحدة
وصفاّ مرصوصاً ، والثاني : أن يبادر الجميع إلى الإنفاق في سبيل الله لبناء هذه
القوة في صف مرصوص من المؤمنين ، غير ممزّق ولا متفرّق  إن الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفاًّ كأنهم بنيان مرصوص  [الصف : 4] ومن خلال هذا
الترابط والتماسك تتحدد المواقف وتُفهم الآيات الكريمات ، ففي قوله (تعالى) :
 وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم 
[الأنفال : 6]، لا يفهم من « السلم » الاستسلام العاجز ، أو المساومة
الواهنة ، أ و الهزيمة وما يتلوها من ضياع ، إن الجنوح « للسلم » جنوح
الدعوة الإسلامية ، جنوح المسلمين لا يتحقق إلا إذا كانت الخصائص
السابقة كلها متوافرة في واقع الدعوة ، لتوفر الصف المتراص
والقوة المعَدّة والعزّة الحقيقية للمؤمنين :
 ... ولله العزَة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون 
[المنافقون : 8] ، وكيف تكون العزة للمؤمنين إذا تفرقوا شيعاً ، ولم يُعِدّوا
قوة ، ولم ينهضُوا إلى خصائص الدعوة الإسلامية مما عرضنا طرفاً منه .
لقد نزلت الآية الكريمة :  وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ...  ، نزلت في
مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية وهي في عزة وقوة ونصر من عند
الله ، فكان « السلم » طلب أعداء الله ، هم الذين يطلبون السلام
والأمن بعد هزائمهم ، فكان قبول المؤمنين عندئذ ، في تلك المرحلة
وفي ذلك الواقع ، وهم أعزاء أقوياء ، صف واحد كالبنيان المرصوص ،
يتيح للمؤمنين الفرصة لتحقيق نصر أوسع .
وعلى نفس النهج نفهم الآية الكريمة :  ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله

وهو أعلم بالمهتدين  [النحل : 125] ، فلا تفهم هذه الآية الكريمة بعزلها عن
منهاج الله وعن الآيات قبلها والآيات بعدها ، وسائر آيات الدعوة ، وإنما تُفهَمُ من
خلال النهج المترابط المتماسك للدعوة الإسلامية في منهاج الله ، عندئذ تصبح هذه
الآية الكريمة تمثل مرحلة من مراحل الدعوة ماضية مع الزمن كله حين تتوافر
ظروفها وشروطها ، وأهم هذه الشروط أن تكون الدعوة الإسلامية بخصائصها
الربانية ماضية في الأرض على نهج واضح الأهداف ، محدد المراحل ، مستكمل
لشروطه الإيمانية ، قائم على ركنين أساسيين هما : المنهاج الرباني ، والواقع .

لا نستطيع هنا أن نوفي عرض خصائص الدعوة الإسلامية ، ولكن منهاج الله
يعرضها العرض المفصل الميسر المعجز ، وحسبنا هنا أن نشير إلى أهم هذه
الخصائص الربانية ، الخصائص التي لم تأت من بشر ، من لجنة أو عالم أو
سلطان ، وإنما نزل بها الوحي الأمين .

## مفهوم حزب الله :

ومن هذه الخصائص الربانية نستطيع أن ندرك حقيقة الجماعة والحزب
ومفهومها في كتاب الله ، فقد وردت كلمة « حزب » في كتاب الله كثيراً ، وأعطت
ظلالاً كثيرة أيضاً ، ولنأخذ أولاً آيتين كريمتين نستدل بهما على ما نهدف إليه :

 ومن يتولَ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب لله هم الغالبون  [المائدة : 56]،

 لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَ الله ورسوله  [المجادلة : 22] .

إن « الحزب » إذن ليس شعاراً يُطلق أو مسمى يُعلن ولكنه خصائص تبرز
في ميدان الواقع ، وجميع هذه الخصائص تنبثق من حقيقة الإيمان والتوحيد
وركائزه ، ومن أهم هذه الركائز : الولاء لله ، ولرسوله ؛ للنبوة الخاتمة القائدة ، ثم للمؤمنين
ليكونوا أمة واحدة :  إنما المؤمنون إخوة ...  [الحجرات : 10] .

إذن : هذه هي رابطة الدعوة الإسلامية ، رابطة إيمان وأخوة في الله ، لا

يمكن أن تتحقق في الواقع البشري إلا إذا تحقق الولاء الأول لله فكراً وتصوراً ،
وشعوراً وعاطفة ، وتطبيقاً وممارسة ، ورأياً وموقفاً ، فإذا لم يتحقق الولاء الأول لله
فأنّى لهذه الرابطة الربانية أخوّة الإيمان أن تتحقق ، ويتبع ذلك أن يكون العهد الأول
مع الله ، والحب الأكبر لله ولرسوله ، والخشية والخشوع والتضرّع لله رب العالمين، حقيقة ثابتة في القلب ، ويقينا يعمر حنايا النفس .

فمهمة الدعوة الإسلامية إذن أكبر من أن تكون كتاباً أو مقالة أو محاضرة تُلقى
ويتفرق الناس بعدها أشتاتاً ، إنها جهد ومعاناة ، وإشراف ومراقبة ومتابعة وتوجيه ،
وبناء وإعداد ، حتى ينهض الجيل المؤمن الذي تتوافر فيه الخصائص الربانية ،
فيتابع المضيّ إلى سائر الأهداف المرحلية المحددة والأهداف الثابتة ، على بصيرة
وهدى ويقين ، على درب ممتد إلى الهدف الأكبر والأسمى رضوان الله والجنة
حيث تتعلق القلوب والأبصار منذ اللحظة الأولى وعلى الدرب كله ، وحيث ترتبط
الدنيا بالآخرة على ميزان دقيق أمين ، لينجو الإنسان في الدنيا من الفتنة برحمة الله، وينجو في الآخرة من عذاب النار برحمة الله .

إذن : لا تكون العشيرة ولا العائلة ولا الأرض ولا القوم هم أساس الولاء ،
وإنما تأخذ هذه القيم منزلتها الحقيقية على أساس من منهاج الله ، ليصوغ منهاج الله
روابط المؤمن كلها في الحياة الدنيا ، فلا يصوغها الهوى والمصالح .

حين تحمل كلمة « الحزب » في واقعنا المعاصر هذه الخصائص الربانية كلها
نهجاً ودرباً وأهدافاً ورابطة فإنها تتساوى مع كلمة الدعوة الإسلامية .

وهذه الرابطة الإيمانية ليست مجرد شعار يطرح ، ولكنها مسؤوليات وحقوق
وواجبات ، عندئذ يكون التجمع تحت أي اسم من الأسماء المباحة ثمرة طيبة مباركة
لصدق الإيمان والتوحيد والدعوة إليهما والبذل من أجلهما ، وهذا المنطلق في الدعوة
الإسلامية يقود إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض ، ليكون هذا هو الهدف
الثابت على طريق الدعوة الإسلامية ، على طريق الجنة ، ونوجز هذه الأهداف

الثابتة بما يلي : الدعوة إلى الله ورسوله وإلى الإيمان والتوحيد ، التعهد والتربية
والإعداد ، بناء الجيل المؤمن ، الجهاد في سبيل الله ، بناء الأمة المسلمة الواحدة
التي يحكمها منهاج الله ، عمارة الأرض بحضارة الإيمان .

**حزبية مرفوضة :**

وفي كتاب الله معنى آخر لكلمة « الحزب » و « الأحزاب » :  استحوذ
عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم
الخاسرون  [المجادلة : 19] .

 إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب
السعير  (فاطر : 6) .

وكذلك :  جند مَا هنالك مهزوم من الأحزاب ...  الآيات [ص : 11-14]
 فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون  [المؤمنون : 53] .

حين ندرس هذه الآيات الكريمات ، كل آية من خلال أجوائها في سورتها ،
ومن خلال منهاج الله ، نجد أن حزب الشيطان خارج عن منهاج الله ، روابطه
الفتنة والفجور والفساد والظلم والطغيان ، حين تفلت أفراده من ذكر الله ومن الولاء
لله والعهد مع الله ، فنشأت روابط شتى وسبل شتى وأحزاب شتى يجتمعون على
المصالح والأهواء ، ويفترقون على المصالح والأهواء .

الدعوة الإسلامية سبيل واحد ، وغيرها سبل شتى ، هذا ما علمنا إياه محمد -
صلى الله عليه وسلم- ؛ فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : « خط لنا
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطاً ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً
عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو
إليه » ثم قرأ الآية :  وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل [1] «  .

أهم خصائص حزب الشيطان : أنهم يعبدون آلهة شتى ، ولهم سبل شتى ،
متفرقون على ذلك ، تركوا الصراط المستقيم .

في واقعنا اليوم انتشرت كلمة « حزب » و « أحزاب » وما يتبع ذلك من
رايات وشعارات ، هذه الأسماء والشعارات ليست هي التي تقرر حقيقة الحزب أو
الجماعة أو الطائفة أو غير ذلك من الأسماء ، إن الذي يقرر حقيقتهم هو الخصائص
التي يلتقون عليها ، والنهج الذي يرسمونه ، والأهداف التي يسعون إليها .
عندما يصبح « التجميع » العددي هو هدف المسعى والجهد ، تنتهي هنالك
خصائص الدعوة الإسلامية ، ثم يبدأ التنازل التدريجي عما كان يرفعه الحزب من
شعارات ، أما الدعوة الإسلامية فهمها الأول هو الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، ثم
الانتقال من هدف ثابت إلى هدف ثابت وفق منهجها الواضح .

كلمة « الحزب » في واقعنا أصبحت تحمل ظلالاً كئيبة من المعنى
والممارسة، وتاريخاً مليئاً بالأحداث السوداء ، « الحزب » اليوم أصبح يعني التفرغ للعمل
السياسي بعد عزله عن سائر ميادين النشاط ، وأصبحت الدعوة إليه تعني : الولاء
الأول هو للحزب ، والرابطة الأولى هي عضوية الحزب ، وميدان الممارسة هو «
اللعبة السياسية » مع ما يتبعها من أساليب مستوردة من الغرب ، ووسائل تسللت
إلينا من ساحات الوثنية !
الأحزاب أصبحت تعني اليوم الصراع الدائم المستمر على منصب أو نفوذ ،
وانظر إلى معركة الانتخابات في أمريكا حيث تصبح الانتخابات ساحة لنشر
الفضائح ، وميداناً تشترى الأصوات فيه وتباع ، وتدور المساومات والمؤامرات
وأشكال الخداع المتعدّدة ، حيث تسحق القيم وتسقط الشعارات .
في الدعوة الإسلامية لا تنفصل الغايات ولا الوسائل ، بل تتساند كلها لتمضي
المسيرة تحقق الخير والصلاح ، والحق والعدل ، والأمن والمساواة في واقع الإنسان.
الدعوة الإسلامية بخصائصها الربانية هي وحدها تحمل أبعد عمق إنساني ،
فهي حاجة البشرية كلها ، حاجة الشعوب كلها ، حاجة الإنسان .

الدعوة الإسلامية يجب أن تكون هي النظام العالمي الجديد ، لا ما نسمعه اليوم
من افتئات على الحق ، وادعاء باطل تحميه الصواريخ والطائرات والدبابات
لترتكب أسوأ أنواع الجرائم في تاريخ البشرية ، والنظام العالمي الجديد الذي تدعو
له القوى الكبرى في الأرض يتبنى ما يسمونه « الديمقراطية » الليبرالية ، وهذا ما
دعا إليه « فوكوياما » في مقالته « نهاية التاريخ » التي نشرتها « National
Inlerst » ، وطلع بضلاله هذا ليدعم القوى الإجرامية في الأرض ، وليوجه
الدعوة إلى حرب الإسلام على إنه الخطر الذي يهدد الديموقراطية بعد سقوط الاتحاد
السوفيتي .

أمام الواقع الخطير الذي يجابهه المسلمون اليوم في حرب مكشوفة وقحة ،
يجب على كل مسلم ، وعلى كل حركة إسلامية أو دعوة أو حزب ، أن تقف مع
نفسها موقف مراجعة وحساب ، وتقويم ونظر لمسيرتها ، حتى تعرف أخطاءها
وصوابها ، ومدى توافر الخصائص الربانية في مناهجها وتطبيقها وممارساتها ،
ومدى تجنبها العصبيات الإقليمية والقومية ، حتى تمهد الطريق للقاء المؤمنين
الصادقين الذين يريدون الجنة والدار الآخرة ، ينصرون الله ورسوله ، وينصرون
دين الله ، على درب جليّ واضح الأهداف ، على بصيرة ونور وهدى .

لابد أن ندرك اليوم مع كثرة التجارب المريرة والمآسي الدامية أن المعركة
الحقيقية تبدأ في أنفسنا ، فإذا انتصرنا هناك ، هيأ الله لنا برحمته أسباب النصر في
فلسطين وكشمير وغيرهما ، فهل سننهض إلى الوفاء بعهدنا مع الله .

أيها الناس ، أيها الدعاة ، أيها المسلمون ! لا تخافوا على الإسلام ، فللإسلام
رب سينصره على يد من يشاء من عباده ، ولكن خافوا على أنفسكم حين تقفون بين
يدي الله تحاسَبُون عَمّا قدمتم لنصرة دين الله ، فالحساب يومئذ شديد ، والله سريع
الحساب .

﴿ .. وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثمَ لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : 38] .

والحمد لله رب العالمين .

---

**(1) أخرجه مالك وأحمد والنسائي ، وصححه الحاكم .**

## كلمة صغيرة

## **حديث ذو شجون**

يطلق جل الإعلام العربي إطلاقات فضفاضة ، ولكنها لا تتسع إلا
للإسلاميين ، مثال ذلك الصارخ : لفظة الإرهاب ومشتقاتها ، ومن
عجائب ذلك الإعلام أنه لم
يضع تعريفاً جامعاً مانعاً للإرهارب ، حتى إنه بات في حس الكثيرين : أنه
متى
أطلق لفظ إرهابي ، فإنه يعني إسلامي ، وهذا ادعاء باطل و افتراء
مقصود .
ولكن حين يأتي الإرهاب من وراء البحار ، أو حين يقوم به ذوو
الدماء
الزرقاء ! فإنه يسلم من هجمات ذلك الإعلام (المؤمم ) ولا حديث حيئنذ
عن الخطر
الداهم الذي ينتظر العالم ، ولا عن العنف الذي سيعصف بالحضارة ،
ولا ...
لقد فجر (اليمين الأمريكي) مبنى فيدراليّاً في أمريكا ، وحصلت
انتحارات
جماعية لمتطرفين أجانب ، وقام (الشين فين) الأيرلندي بانفجارات هزّت
لندن ،
والعنف الصهيوني يذيق الفلسطينيين كل يوم سوء العذاب .. وغير ذلك
كثير .
ولم يسجن أحد من اليمين الأمريكي مدى الحياة ، وما زال
البريطانيون
يخطبون ود (الشين فين) الإرهابية ، وزعيمهم تستقبله أمريكا بالأحضان
، وأما
الصهاينة فهم محبوبو دعاة التطبيع ، والهرولة إليهم جارية بمباركة (
الإعلام
المشبوه) .
نقول لذلك الإعلام : شيئاً من الموضوعية ، بل شيئاً من الحياء ، كفى
حقداً ،
وكفى خبثاً .. أسفروا عن حقيقتكم ومواقفكم العدائية للإسلام ودعاته ...
وعند الله
تجتمع الخصوم .

---

افتتاحية العدد

## يا دعاة الإسلام :
## الائتلاف .. لا الاختلاف

بعد سقوط الدولة العثمانية ، وتمزق العالم الإسلامي ، سيطر الاستعمار على
ديار الإسلام ، وأذاق المسلمين ألواناً من الذل والهوان ، وسعى جاهداً لنزع الهوية
الإسلامية ، وسلخ الأمة الإسلامية عن حضارتها وتاريخها ، ثم خرج المستعمر بعد
أن زرع أذناباً علمانية من بني جلدتنا ، يتكلمون بلساننا ، أجسامهم نبتت في
أرضنا ، وقلوبهم وعقولهم تربت على فكر الغرب أو الشرق ، واستمرت متعلقة برموزها
وحُدَاتُها هناك . وأصبح هؤلاء القوم أشد خطراً على المسلمين من أسيادهم
المستعمرين ، حيث تفننوا في مسخ الأمة الإسلامية وإفسادها وسلب هويتها ،
وخدعوا الشعوب بالشعارات البراقة والأطروحات الملفقة .

**ولكن ماذا كانت النتيجة ؟**

دخلت الأمة في أنفاق مظلمة ، وتعرضت لهزائم ونكسات متنوعة في شتى
المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية .. ولا تخرج الأمة من مأزق إلا وتدخل
في مأزق أشد منه إظلاماً وفساداً .. و كلما سقط قناع وانكشف ما وراءه صُنِعَتْ
أَقْنِعَةٌ أُخر ، لمعت في وسائل الإعلام ..

وفي هذا الجو المظلم من الزيف والخداع .. وفي هذه المستنقعات الآسنة من
التخلف والانحطاط .. ولدت الحركة الإسلامية المعاصرة من جديد .. !

لقد ظن أعداء الإسلام أنه بسقوط الدولة العثمانية قد وئد الإسلام ، فإذا
بالصحوة الإسلامية تقلب الموازين ، وتزيل تلك الظنون والأوهام .

وعلى الرغم من القمع والتسلط الذي ووجهت به الحركة الإسلامية
ورجالاتها ، إلا أن مطارق الظلم لم تزدها إلا قوة وتجذراً وصلابة .

لقد امتدت هذه الأغصان الكريمة ، وتنامت بصورة مذهلة أدهشت جميع
المراقبين والمتابعين لسير الأحداث ، وأصبحت الصحوة الإسلامية هي الشغل
الشاغل للساسة والكتاب العلمانيين ووسائل الإعلام ، وبخاصة بعد السقوط المفاجئ
للمعسكر الشيوعي .

لقد درجت وسائل الإعلام الغربية على التحذير من ذلك (الغول) القادم من
المشرق الإسلامي ، وتوالت التقارير السياسية و (التحليلات) الإعلامية ، تشرح هذه
الظاهرة ، وتحدد معالمها وأبعادها ، وترسم الخطط والاستراتيجيات السياسية
والعسكرية لمواجهتها .

ماذا تملك الصحوة الإسلامية حتى يهابها أعداء الله ؟ !
هل تملك التقنية .. ؟ !
هل تملك الاقتصاد .. ؟ !
هل تملك القوة .. ؟ !
هل تملك السلاح .. ؟ !

لا تملك شيئاً من ذلك على الإطلاق ، ولكنها تملك هذا الدين الرباني الذي
أنزله الله ليبقى إلى قيام الساعة ، قال (تعالى) : ﴿ هُوَ الَذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : 33] .

لقد أنجزت الصحوة الإسلامية خلال العقود الماضية إنجازات هائلة ، والتفت
الشعوب الإسلامية حولها بكل ثقة واطمئنان ، حتى أصبحت بحمد الله بعثاً شمل
معظم طبقات الأمة ، فهذه المسيرة المباركة سائرة ، ولن تتوقف بإذن الله (تعالى) .

ولكن .. ! أليس من العقل والحكمة .. بل ومن الشرع : أن نعاود النظر في
هذه المسيرة ، ونقلب الطرف هنا وهناك ، ونحاول بكل جدية وإشفاق تقويم هذه
المسيرة سلباً و إيجاباً ، حتى نضمن سلامتها واستقامتها على الطريق المستقيم ،
خاصة في هذا العصر الذي تمر فيه الصحوة الإسلامية بمنعطف خطر بالغ الأهمية .. ؟ !

إن ثمة حقيقة دعوية تدمي القلب ، وتحزن النفس ، ولا تحتاج إلى كبير جهد
أو عناء لإثباتها ، وذلك : أن الإنسان لا يكاد يذهب إلى بلد من بلاد الإسلام إلا
ويجد الدعاة أحزاباً متفرقين وأشتاتاً متناحرين .

ونظرة سريعة في أحوال العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه ، تُظْهِرُ لنا
بجلاء ذلك التصدع الداخلي في صفوف الحركة الإسلامية : فالفرقة والتنازع

والتدابر سمة مشتركة لدى معظم العاملين للإسلام ، فهي القاسم المشترك الأكبر
بينهم :
الجماعات الإسلامية في مصر لا تحصى ...
الحركة الإسلامية في سوريا تتمزق وتتنازع ، وكانت مأساة حماة ثمرة مرة
لذلك ..
الحركة الإسلامية في كشمير تجاوزت عشرين حزباً ..
الجهاد الأرتيري يبدأ بالتوحد والائتلاف ، وينتهي بالفرقة وتبادل التهم ..
الصراع الحزبي في الباكستان يؤدي إلى هزيمة الإسلاميين في الانتخابات
هزيمة ساحقة ..
الأحداث الدامية في أفغانستان مثال صارخ للفوضى الحزبية والتنظيمية ..
أحداث الخليج شرقت بالمسلمين وغربت ، وكشفت ما كان مستتراً ..
وهكذا في الأردن ، والخليج ، واليمن ، والسودان ، والمغرب العربي ...
وتجول حيثما شئت داخل هذه المنظومة الإسلامية ، فالظاهرة هي هي ، تزداد حيناً
حتى تصل إلى الصراع وتشابك الأيدي ، وتقل حيناً آخر ، ولكنها كما قال الشاعر :
أرى تحت الرماد وميض نار وأخشى أن يكون لها ضرام
إن أي متابع لمسيرة العمل الإسلامي المعاصر يلحظ هذا الشرخ الممتد في
الجسم الإسلامي ، ورغم أن الأصل الذي حث عليه الإسلام ، وتواترت به
النصوص ، واجتمعت عليه الأمة ، هو الائتلاف والاتحاد ، وأن تكون الأمة المسلمة
يداً واحدة على من سواها ، يسعى بذمتها أدناها ، إلا أن رياح الفرقة وأعاصيرها
تزداد يوماً بعد يوم ، وما تزيدها الأحداث إلا تجذراً واتساعاً ، وكان الظن أن المحن
والشدائد سوف تقود إلى التوحد ، أو على أدنى الأحوال إلى التنسيق واتخاذ مواقف
مشتركة ، ولكن التجارب الماضية والجارية أظهرت شيئاً آخر ، فعقدة التفرد
والتميز ملازمة لأكثر التجمعات ، وكل تجمع يعتقد بأنه الإمام الذي تثنى عنده
الركب ، ويلتف حوله الناس ، ويسلّم بين يديه القريب والبعيد ، ويجتمع عنده

العرب والعجم ... !

قلب الحركة الإسلامية يغلي ويتمزق من الداخل بسبب هذه الصراعات
المستمرة بين الإسلاميين ، تلك التي تغذيها الحزبية الطاغية في الصفوف ، والتي
أنهكت الجسم المسلم وحاصرته ، وأصبحت عند بعض فصائله معيار الحق وأساسه ؛ فالحق ما قاله القادة ، ولو خالف من خالف ، والباطل ما ردوه ، ولو وافق من
وافق .. !

إذا هدأت الأمور بين بعض الدعاة لا ترى إلا الابتسامات الصفراء الباهتة ،
والمجاملات الباردة ، مشوبة بشيء من التوجس والحذر والشك ، وقد يتحول ذلك
في بعض الأحيان إلى تراشق بالتهم وإسفاف في العبارات ولغط أجوف ومهاترات
تطول ولا تنتهي ، وإذا دعت الضرورة الحزبية شمر المشمّر عن ساعديه واستل
لسانه ، وأخذ يفري في أعراض إخوانه المسلمين ، فالغيبة والنميمة محرمتان على
العوام ، أما بين الدعاة فالمصلحة الحزبية تجيزهما .. ! ! !

أما آن لنا أن ندرك بعد كل هذه التجربة أن الاعتصام بحبل الله المتين
والاجتماع على الهدى المستقيم هو القوة الحقيقية التي نستطيع أن نواجه بها الأعداء .. ؟ !

قال الله (تعالى) : ﴿ ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : 105] .

---

دراسات قرآنية

## مصادر التفسير
## (4)
## تفسير الصحابة للقرآن
## - الحلقة الثانية -

**بقلم : مساعد بن سليمان الطيار**

**كانت الحلقة السابقة هي الأولى من تفسير الصحابة ، والرابعة من هذه السلسلة ، وقد تحدث فيها الكاتب عن : قدر الصحابة ، ثم عن أهمية تفسيرهم ، ويواصل في هذه الحلقة بقية الموضوع .**

- البيان -

### مصادر الصحابة في التفسير :

للتفسير مرجعان :

الأول : ما يَرْجِعُ إلى النقل .

والثاني : ما يرجع إلى الاستدلال [1] .

ويمكن توزيع مصادر الصحابة على هذين المرجعين ؛ لأن تفاسير الصحابة : منها ما يرجع إلى النقل ، ومنها ما اعتمدوا فيه على استنباطهم ، وهم فيه مجتهدون .

### تفصيل مصادر الصحابة :

أولاً : ما يرجع إلى النقل ، ويندرج تحته قسمان :

الأول : ما يرجع إلى المشاهدة ، وتحته ما يلي :

1- أسباب النزول .

2- أحوال من نزل فيهم القرآن .

وهذان بينهما تلازم في حالة ما إذا كان سبب النزول متعلقاً بحال من أحوال من نزل فيهم القرآن .

الثاني : ما يرجع إلى السماع ، ويندرج تحته ما يلي :

1- ما يروونه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من التفسير النبوي الصريح .

2- ما يرويه بعضهم عن بعض .

3- ما يروونه من الغيبيّاتِ .

ثانياً : ما يتعلق بالفهم والاجتهاد (الاستدلال) ، ويندرج تحته ما يلي :

1- تفسير القرآن بالقرآن .

2- تفسير القرآن بأقوال الرسول مما ليس نصّاً في التفسير .

3- التفسير اللغوي (المحتملات اللغوية) .

4- المحتملات المرادة في الخطاب القرآني ، أو ما يرجع إلى احتمال النص
القرآني أكثر من معنى .

**تفصيل هذه المصادر :**

أولاً : ما يَرْجِعُ إلى النّقْلِ :

الأول : ما يتعلق بالمشاهدة :

ويعتبر هذا مما تميّز به الصحابة (رضي الله عنهم) ؛ لأن المشاهدة لا يمكن
أن تتأتّى لغيرهم ؛ ولذا : فإن الأصل أن ما ورد من هذا الباب فإن مَحَلّهُ القبول بلا
خلاف .

ويدخل فيما يتعلق بالمشاهدة ما يلي :

1- أسباب النزول :

لقد سبق الحديث عن أن مشاهدتهم لأسباب النزول كانت من أهم أسباب
رجوع من جاء بعدهم إلى تفسيرهم ، والاعتماد عليه في فهم الآية .

والمراد بسبب النزول : ما كان صريحاً في السببية ، ويظهر ذلك من خلال
النصّ المروي في السبب ؛ كأن يقول الصحابي : كان كذا وكذا فنزلت الآية ، أو
يقع سؤال فينزل جوابه ، أو غيرها مما يمكن معرفته من خلال النص بقرائن تدل
على السببية الصريحة .

2- معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن :

إن معرفة هذه الأحوال تفيد في درايتهم بقصة الآية ، الذي هو أشبه بسبب
النزول ، بحيث لو فقدت هذه المعرفة لوقع الخطأ في فهم المراد بالآية ، كما وقع
لعروة بن الزبير (رضي الله عنه) في فهم قوله (تعالى) :  إنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن
شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا
..   [البقرة : 158] .

قال عروة : (قلت لعائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا يومئذ
حديث السّن أرأيتِ قول الله (تبارك وتعالى) :  إنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..  [ البقرة : 158] فما
أرى على أحدٍ شيئاً ألا يطّوف بهما .

فقالت عائشة : كَلاّ ، لو كانت كما تقول كانت : (فلا جناح عليه أن لا يطوّف

بهما) ، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار : كانوا يُهِلّون لمناة وكانت مناة حَذْوَ قُدَيدٍ
وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله
-صلى الله عليه وسلم- عن ذلك ، فأنزل الله :  إنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..  [البقرة : 158]) [2] .

ويلحظ من هذا المثال : أن سبب النزول قد يكون من أجل حالٍ من أحوال من
نزل فيهم الخطاب من العرب أو اليهود ، وبهذا يكون المثال صالحاً للتمثيل به في
الأمرين .

ومما نزل بسبب حال من أحوال اليهود ، ما روى جابر (رضي الله عنه)
قال : (كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت :  نساؤُكُمْ
حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ..  [البقرة : 223] [3] .

**تنبيه :**

## للصحابة فيما يتعلق بالمشاهدة حالتان :

الأولى : أن يكون الصحابي ممن حضر سبب النزول ، أو عايش الأحوال
التي نزل بشأنها القرآن ، وهذا هو الذي ينطبق عليه الحديث هنا .

الثانية : أن يكون سمعه من صحابي آخر ، وبهذا فإنه يدخل في القسم الذي
بعده .

الثاني : ما يتعلق بالسماع :

يشمل هذا القسم كل الروايات التي يرويها الصحابي عن غيره ، ويدخل في
هذا القسم ما يلي :

1- الرواية عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- :

والمراد به : ما يروونه من التفسير النبوي الصريح ، وقد يقع تفسيره جواباً
لأسئلتهم ، أو أن يفسّر لهم ابتداءً .

* ومن الأول : ما رواه مسلم في تفسير قوله (تعالى) :  .. لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ
عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ..  [التوبة : 108] عن أبي سلمة بن عبد
الرحمن قال : (مرّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال : قلت له : كيف سمعت أباك يذكر
المسجد الذي أسس على التقوى ؟ .

قال : قال أبي : دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيت

بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أيّ المسجدين الذي أسس على التقوى ؟ قال :
فأخذ كفّاً من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، لِمسجد
المدينة .
قال : فقلت : أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره) [4] .
* ومن الثاني : ما رواه البخاري عن أبي ذرّ ، قال : (كنت مع النبي -صلى
الله عليه وسلم- في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : يا أبا ذر ، أتدري أين
تغيب الشمس ؟ .
قلت : الله ورسوله أعلم .
قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله (تعالى) :
﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ ) [5] .
2- ما يرويه الصحابي عن الصحابي :
قد تكون الرواية عن الصحابي مجردة من السؤال ، بحيث يورد الصحابي
تفسير الصحابي إيراداً من غير سؤال ، أو تكون عن سؤالٍ ؛ ومنه : ما رواه
البخاري عن ابن عباس في قوله (تعالى) : ﴿ .. وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم : 4] .
قال ابن عباس : أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فمكثت سنة ، فلم أجد له موضعاً ، حتى
خرجت معه حاجّاً ، فلما كنّا بظهران ذهب عمر لحاجته ، فقال : أدركني
بالوضوء ، فأدركته بالإداوة ، فجعلت أسكب عليه ، ورأيت موضعاً ، فقلت :
يا أمير المؤمنين ، من المرأتان اللتان تظاهرتا ؟
قال ابن عباس : فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة) [6] .
ويدخل في باب الرواية : ما كان من أسباب النزول ، أو أحوال من نزل فيهم
القرآن ، إذا كان الصحابي لم يحضر السبب أو الحال ، فإن طريقه في ذلك :
الرواية ، وروايته مقبولة في ذلك ، وإن لم ينسبها إلى من رواها له من الصحابة ،
وذلك لأن الصحابة عدول باتفاق الأمة .
ويمكن التمثيل لهذا بما يرويه صغار الصحابة أو من تأخر إسلامهم من أحداثٍ

لم يحضروها أو يعاصروها .
ومن أمثلة ذلك : ما رواه : أبو هريرة ، وابن عباس في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : 214] من أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صعد الصفا ، ونادى بطون قريش .. إلى آخر الحديث [7] .
وذلك أن أبا هريرة أسلم في المدينة ، وابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، والحدث الذي يرويانه في تفسير الآية كان بمكة ، وكان في أوائل سني البعثة .
3- ما يروونه من المغيّبات :
تشمل الأمور الغيبية ما مضى ، وما سيكون ، والأخبار الماضية إما أن يكون مصدرها الرسول ، وهذا هو المراد ، وإما أن يكون مصدرها أهل الكتاب ، وهذا يدخل في البحث السابق .
أما الأخبار المستقبلية ، فالغالب أنها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وقد يرد منها ما هو عن أهل الكتاب .
وها هنا مسألة تحتاج إلى بحث ، وهي : كيف نُميّزُ ما روي عن أهل الكتاب مما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ؟ .
الجواب : ( ................ ) [*] .
هذا .. وما يُروى عن أهـل الكتاب ، فقد اصطلح العلماء على تسميته بـ (الإسرائيليات) . وهي عند الصحابة على قسمين من حيث التحمّل في الرواية :
الأول : السماع منهم ، وهذا يأخذونه عن بعض مسلمة أهل الكتاب : كابن سلام من الصحابة ، وكعب الأحبار وأبي الجلد من التابعين .
ويظهر من استقراء المرويات الإسرائيلية أن الصحابة لا يسندون مروياتهم في الغالب مما يجعل الباحث لا يجزم بالأخذ المباشر عن مُسِلمةِ بني إسرائيل ، بل قد يكون مما اطّلعوا عليه وقرؤوه ، والله أعلم .
ومن أمثلة الرواية عن عبد الله بن سلام : ما رواه ابن مُجلّز ، قال : (جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام ، فسأله عن الهدهد ، لم تفقّده سليمان من بين الطير ؟
فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة في مسيرٍ له ، فلم يَدْرِ ما بُعْدُ

الماء ، فقال : من يعلم بُعْدَ الماء ؟ ، قالوا : الهدهد ، فذلك حين تفقّده) [8] .

الثاني : ما يكون من طريق الوجادة ، وهو ما يقرؤونه من كتب أهـل الكتاب ، كما حصل لعبد الله بن عمرو بن العاص من إصابته زاملتين فيها كتبٌ من كتب أهل الكتاب [9] .

## اسْتِطْرَادٌ :

مما يحسن توجيه النظر إليه في هذا المبحث ، أن بعض المعاصرين قد شنّ غارة على وجود مرويات بني إسرائيل في تفسير الصحابة ، وعدّ ذلك من عيوب تفسيرهم .

والذي يجب التنبّه له أن الحديث عن الإسرائيليات يَطَال سلف الأمة من المفسرين : صحابةً ، وتابعين ، ولقد كان هؤلاء أعلم الناس بالتفسير ، وأعظم الذائدين عن الدين كل تحريف وبطلان .

لقد تجوّز سلف هذه الأمة في رواية الإسرائيليات ، أفلم يكونوا يعرفون حكم روايتها ومنزلتها في التفسير ؟ .

ألم يكونوا يميّزون هذه الإسرائيليات التي استطاع المتأخرون تمييزها ؟ !

وإذا كان ذلك كذلك ؟ فما الضرر من روايتها ؟ .

ألا يكفي المفسر بأن يحكم على الخبر بأنه إسرائيلي ، مما يجعله يتوقف في قبول الخبر ؟ .

إن بحث (الإسرائيليات) يحتاج إلى إعادة نظر فيما يتعلق بمنهج سلف الأمة في روايتهم لها ، ومن أهم ما يجب بحثه في ذلك ما يلي :

1- جَمْعُ مروياتهم فيها ، وجَعْلُ مرويات كل مفسرٍ على حِدَةٍ .

2- محاولة معرفة طريق تحمّل المفسر لها ، وكيفية أدائه لها ، فهل كان يكتفي بعرضها ثقةً منه بتلاميذه الناقلين عنه ؟

أو هل كان ينقدها ، ويبين لتلاميذه ما فيها ؟

3- ما مدى اعتماد المفسر عليها ؟

وهل كان يذكرها على سبيل الرواية لما عنده في تفسير هذه الآية ، من غير نظر إلى صحة وضعف المروي ؟

أوْ هل كان يرويها على سبيل الاستئناس بها في التفسير ؟

أو هل يعتمد عليها ، ويبني فهم الآية على ما يرويه منها ؟

تلك المسائل وغيرها لا يتأتّى إلا بعد جمع المرويات ، واستنطاقها لإبراز
جوابات هذه الأسئلة وغيرها مما يمكن أن يَثُورَ مع البحث .

ثم بعد هذا يمكن استنباط منهج السلف وموقفهم من الإسرائيليات في التفسير .

والله أعلم .

---

**(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (العلم : إما نقلٌ مُصَدّقٌ ، وإما استدلال محقّقٌ) (مقدمة في أصول التفسير ، ص55) .**

**(2) رواه البخاري (فتح الباري ، ج8 ص24 25) .**

**(3) رواه البخاري (فتح الباري ، ج8 ص37) .**

**(4) رواه مسلم في صحيحه (رقم 1398) .**

**(5) انظر : البخاري (فتح الباري ، ج8 ص402) .**

**(6) رواه البخاري (فتح الباري ، ج8 ص527) .**

**(7) انظر روايتهما في : صحيح البخاري (فتح الباري ، ج8 ص 360) .**

**(*) جواب هذا السؤال يحتاج بحثاً خاصّاً ، والمراد هنا الإشارة إلى هذا الإشكال فقط .**

**(8) تفسير الطبري ، ج19 ص 143 وانظر : سؤال ابن عباس لأبي الجلد في تفسير الطبري : ج1 ص 151 ، 13 ، 123 .**

**(9) رواه البخاري (فتح الباري ، ج1 ص167) .**

دراسات تربوية

## من ثمرات اليقين باليوم الآخر
## (2)

بقلم :عبد العزيز بن ناصر الجليل

تطرق الكاتب في الحلقة الأولى إلى بعض ثمار الإيمان باليوم الآخر ، وهي :
الإخلاص لله (تعالى) والمتابعة للرسول ، والحذر من الدنيا ، والزهد فيها ، والصبر
على شدائدها ، والتزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات ، واجتناب المعاصي ،
ويواصل الكاتب في هذه الحلقة ما تبقى من هذا الموضوع .
- البيان -

**4- الدعوة إلى الله (عز وجل ) والجهاد في سبيله :**

وهذا يدخل في الثمرة السابقة ، حيث إنه من أفضل القربات والأعمال
الصالحة ، وقد أفردته هنا باعتباره ثمرة مستقلة من ثمار اليقين باليوم الآخر ، وذلك
لما يلي :

(أ) فضل الجهاد والدعوة إلى الله (سبحانه) وأثرهما في إنقاذ الناس بإذن
ربهم من الظلمات إلى النور ، ولذلك كان من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) ،
قال (تعالى) :  وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إنَّنِي مِنَ
المُسْلِمِينَ  [ فصلت : 33]

(ب) وصف الرسول للجهاد بأنه ذروة سنام الإسلام .

في الجهاد أيضاً : حقيقة الزهد في الحياة الدنيا ، وفيه أيضاً : حقيقة
الإخلاص ؛ فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله ، لا في سبيل الرياسة ، ولا في سبيل المال ،
ولا في سبيل الحمية .. وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ، ولتكون
كلمة الله هي العليا ، وأعظم مراتب الإخلاص : تسليم النفس والمال للمعبود ، كما
قال (تعالى) :  إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ 
[التوبة : 111] .

(ج) في الحديث عن الجهاد في سبيل الله (عز وجل) ومحاربة
الفساد وتعبيد
الناس لرب العالمين أكبر رد على الذين يرون أن التعلق باليوم الآخر
والاستعداد له
يعني اعتزال الناس ، وترك الدنيا لأهلها ، والاشتغال بالنفس وعيوبها ،
وترك
الحياة يأسن فيها أهلها .
نعم هذا ما يراه بعض المتصوفة وأصحاب الفهم المنحرف لحقيقة
الدنيا
والآخرة .. ([لقد كان ] الناس في فترات من الزمان يعيشون سلبيين ،
ويَدَعون
الفساد والشر والظلم والتخلف والجهالة تغمر حياتهم الدنيا مع ادعائهم
الإسلام هم
يصنعون ذلك كله أو بعضه لأن تصورهم للإسلام قد فسد وانحرف ؛ ولأن
يقينهم
في الآخرة قد تزعزع وضعف ! لا لأنهم يدينون بحقيقة هذا الدين ... فما
يستيقن
أحد من لقاء الله في الآخرة ؛ وهو يعي حقيقة هذا الدين ، ثم يعيش في
هذه الحياة
سلبيّاً أو متخلفاً أو راضياً بالشر والفساد . إنما يزاول المسلم هذه الحياة
الدنيا وهو
يشعر أنه أكبر منها وأعلى ، ويستمتع بطيباتها أو يزهد فيها وهو يعلم أنها
حلال في
الدنيا خالصة له يوم القيامة ... ، ويكافح الشر والفساد والظلم
محتملاً الأذى
والتضحية حتى الشهادة ، وهو إنما يقدم لنفسه في الآخرة ... إنه يعلم من
دينه أن
الدنيا مزرعة الآخرة ، وأن ليس هنالك طريق للآخرة لا يمر بالدنيا ، وأن
الدنيا
صغيرة زهيدة ، ولكنها من نعمة الله التي يجتاز منها إلى نعمة الله
الكبرى) [1] .

## 5- اجتناب الظلم بشتى صوره :

نظراً لكثرة الظلم والشحناء بين المسلمين في عصرنا الحاضر ، وأنه
لا شيء
يمنع النفس من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض : كاليقين بالرجوع
إلى الله
(عز وجل) ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه ،
فإذا تذكر
العبد هذا الموقف العصيب الرهيب ، وأنه لا يضيع عند الله شيء ، كما قال
(تعالى) : ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً
وَإن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : 47] وقوله (تعالى) ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْماً ﴾ [طه : 111] ، إذا تذكر هذه المواقف واتعظ بهذه الآيات ، وأيقن
بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق ، والحذر من ظلمهم
في دم أو مال أو عرض ، خاصة وأن حقوق العباد مبنية على المشاحة والحرص
على استيفاء الحق من الخصم ، وبالذات في يوم الهول الأعظم الذي يتمنى العبد فيه
أن يكون له مظلمة عند أمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، فضلاً عن غيرهم من الأباعد ،
ومعلوم أن التقاضي هنالك ليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات .

فياليتنا نتذكر دائماً يوم الفصل العظيم ، يوم يفصل الحكم العدل بين الناس ،
ويقضي بين الخصماء بحكمه وهو أحكم الحاكمين ، ليتنا لا نغفل عن هذا المشهد
العظيم ، حتى لا يجور بعضنا على بعض ، ولا يأكل بعضنا لحوم بعض ، ولا
نتكلم إلا بعلم وعدل ، إنه لا شيء يمنع من ذلك كله إلا الخوف من الله (عز وجل)
وخوف الوقوف بين يديه ، واليقين الحق بأن ذلك كائن في يوم لا ريب فيه ؛ قال
(تعالى) : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾
[الزمر : 30 ، 31] .

## 6- حصول الأمن والاستقرار ، والألفة بين الناس بالحكم بشريعة الله :

إن مجتمعاً يسود بين أهله الإيمان بالله (عز وجل) واليقين بالآخرة والجزاء
والحساب ، لا شك أنه مجتمع تسوده المحبة ويعمه السلام ؛ لأن تعظيم الله (سبحانه)
سيجعل هذه النفوس لا ترضى بغير شرع الله (عز وجل) بديلاً ، ولا تقبل
الاستسلام إلا لحكمه ، وهذا بدوره سيضفي الأمن والأمان على مثل هذه
المجتمعات ، لأن أهلها يخافون الله ويخافون يوم الفصل والجزاء ، فلا تحاكم إلا لشرع الله ،
ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة : فلا خيانة ولا غش ولا ظلم ، ولا يعني هذا
أنه لا يوجد في المجتمعات المسلمة من يظلم أو يخون أو يغش ، فهذا لم يسلم منه

عصر النبوة ولا الخلافة الراشدة ، لكن هذه المعاصي تبقى فردية ، يؤدّب أفرادها
بحكم الله (عز وجل) وحدوده ، إذا لم يردعهم وازع الدين والخوف من الله ،
والحالات الفردية تلك ليست عامة ، أما عندما يقل الوازع الديني والخوف من
الآخرة ، ويكون التحاكم إلى أهواء البشر وحكمهم فهذا هو البلاء العظيم والفساد
الكبير : حيث تداس القيم والحرمات ، ويأكل القوي الضعيف ، وبالتالي : لا يأمن
الناس على أديانهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم ، وكفى بذلك سبباً في عدم
الأمن والاستقرار ، وانتشار الخوف ، واختلال حياة الناس .

**7- تقصير الأمل وحفظ الوقت :**

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد : طول الأمل ،
والأماني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الآخرة ، واغترار بزينة
الحياة الدنيا ، وتضييع ساعات العمر النفيسة في اللهث وراءها حتى يأتي الأجل
الذي يقطع هذه الآمال ، وتذهب النفس حسرات على ما فرطت في عمرها ،
وأضاعت من أوقاتها . ولكن اليقين بالرجوع إلى الله (عز وجل) والتذكر الدائم
لقصر الحياة وأبدية الآخرة وبقائها ، هو العلاج الناجع لطول الأمل وضياع الأوقات .

يقول ابن قدامة (رحمة الله) : (واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان :

أحدهما : حب الدنيا ، والثاني : الجهل .

أما حب الدنيا : فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ، ثقل
على قلبه مفارقتها ، فامتنع من الفكر في الموت ، الذي هو سبب مفارقتها ، وكل من
كره شيئاً دفعه عن نفسه .

السبب الثاني : الجهل ، وهو أن الإنسان يعول على شبابه ، ويستبعد قرب
الموت مع الشباب ، أو ليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عدوا كانوا أقل
من العشرة ؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر ، وإلى أن يموت شيخ قد يموت
ألف صبي وشاب ، وقد يغتر بصحته ، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة ، وإن

استبعد ذلك) [2] .

## 8- سلامة التفكير وانضباط الموازين وسمو الأخلاق :

لا يستوي من يؤمن بالله واليوم الآخر ويوقن بيوم الحساب والجزاء ولا يغفل
عنه ، ومن لا يؤمن بالآخرة ، أو يؤمن بها ولكنه في لهو وغفلة عنها ، لا يستويان
أبداً في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الآخرة فيوضحه قوله (تعالى) : ﴿ لا يَسْتَوِي
أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ [الحشر : 20] .

وأما في الحياة الدنيا فلا يلتقي أبداً من يعلم أن له غاية عظيمة في هذا الحياة ،
وأن مرده إلى الله (عز وجل) في يوم الجزاء والحساب والنشور ، مع من لا يعلم
من هذه الحياة الدنيا إلا ظاهرها ، وأنها كل شيء عنده ، وهو عن الآخرة من
الغافلين .

إنهما لا يلتقيان في التفكير ، ولا في الميزان الذي توزن به الأشياء
والأحداث ، ولا في الأحكام ، وبالتالي : فبقدر ما تسمو أخلاق الأول وتعلو همته لسمو منهجه
وميزانه بقدر ما تسفل وترذل أخلاق الآخر لسفالة تصوره وفساد ميزانه . قال
(تعالى) في وصف أهل الدنيا : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ
هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : 7] .

## 9- الفوز برضا الله (سبحانه) وجنته ، والنجاة من سخطه والنار :

وهذه ثمرة الثمار ، وغاية الغايات ، ومسك الختام في مبحث الثمار ، قال
(تعالى) : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ
النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾ [آل عمران : 185] .

يقول الشيخ السعدي (رحمه الله تعالى) عند قوله (تعالى) : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ
النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ : (أي : حصل له الفوز العظيم بالنجاة من العذاب
الأليم ، والوصول إلى جنات النعيم ، التي فيها : ما لا عين رأت ، ولا أذن
سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ ومفهوم الآية : أن من لم يزحزح عن النار ، ويدخل
الجنة ، فإنه لم يفز ، بل قد شقي الشقاء الأبدي ، وابتلي بالعذاب السرمدي ، وفي

هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه ، وأن العاملين يجزون فيه بعض
الجزاء مما عملوه ، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه) [3] .
اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد ، أنت المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا
الجلال والإكرام ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار
وما قرب إليها من قول وعمل ، ونسألك أن لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ
علمنا ، يا حي يا قيوم ، يا أرحم الراحمين .

---

**(1) اليوم الآخر في ظلال القرآن ، ص6 .**
**(2) مختصر منهاج القاصدين ، ص367 368 .**
**(3) تفسير السعدي ، ج1 ص 467 468 .**

# خواطر في الدعوة

## الحق والباطل

**محمد العبدة**

وصف الباطل في القرآن الكريم بأنه (زهوق) ، أي : من طبيعته أن يتلاشى
ويضمحل ، وتخرج أنفاسه مرة بعد مرة ، والتعبير بالفعل الثلاثي (زهق) دليل على
أن الهلاك من طبيعته ، ومن معاني الحق : الثبات والصحة ، ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [الزمر : 5] ، ﴿ وكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر : 3] ، (أي : كل
شيء إلى غاية ، فالحق يستقر ثابتاً ظاهراً ، والباطل يستقر زاهقاً ذاهباً) [1] ،
وهذا من سنن الله الكونية والشرعية ، ﴿ بلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإذَا
هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : 18] وقد جرت سنته في خلقه بأن الضعيف ينتصر بالحق
على القوي ، وأن الحق أكبر من أن يُكافَح ، ولئن ثبت الباطل أمامه مرة ، فقلما
يثبت أخرى ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ البَاطِلَ وَيُحِقُّ الحَقَّ ﴾ [الشورى : 24] ، أي : من عادته
ذلك ، وقال (تعالى) : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : 81] أي : لا
يثبته ولايديمه ، ولكن يسلط عليه الدمار .

فإذا كانت هذه سنته في خلقه ، وإذا كان الباطل بهذه المثابة وهذه المنزلة ،
فلماذا نجد أهل الحق مدفوعين مقموعين ؟ ولماذا نجد أن حقوقهم مهضومة وأمورهم
ضعيفة ؟ ولماذا نرى الباطل قويّاً منتفشاً ، قد زرع الأرض طولاً وعرضاً ، وصال
وجال حتى ظُن أن لن يبيد ! ... أيتغلب الباطل على الحق ؟ والكون كله قائم على
الحق ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ [آل عمران : 191] ونواميس الطبيعة وقوانينها
قائمة على الحق ، والشريعة المنزلة قائمة على الحق ، فالكل من عند الله .

لا بد أن المسلمين مقصرون في اتباع الحق والتمسك به ، فسنن الله لا تتخلف
﴿ ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً ﴾ [طه :
112] ، بل إن المسلمين يقومون بأعمال تفسد عليهم أصل الحق الذي معهم ، حتى كثر

الباطل في هذه الأيام ، وعربد وتكبر (وإنما ثبات الباطل وتماسكه إنما يكون بالتوكؤ
على أركان من الحق : كالنظام ، ومراعاة سنن الله في الخلق ، والأخلاق والسجايا
الفاضلة ، كالصدق والأمانة ، فالحق ثابت في نفسه ، والباطل ثابت به ، فلو تداعت
أركان الحق عند هؤلاء لسقط الباطل) [2] ومن الأشياء المشاهدة لكل ذي بصيرة ،
والتي يراها الإنسان في كل آن : أن العاقبة للمتقين ، لأهل الصدق والعدل والأمانة ، وإن ظهر في البداية أهل الظلم والفساد .

---

**(1) تفسير ابن عطية ، ج14 ص142 .**
**(2) مجلة المنار ، مجلد 2 ص 646 .**

## من قضايا المنهج

# الفاعلية .. طريق الحضارة

**محمد محمد بدري**

الإنسان في أي أمة هو أساس الحضارة ، وصعود حضارة أو هبوطها دائماً ما
يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى فاعلية الإنسان ، فإذا اتسم سلوك الإنسان في أي أمة
بالفاعلية ، كان النهوض الحضاري لهذه الأمة .. أما إذا انعدمت فاعلية الإنسان ،
وتوارى جهده فإن مستقبل هذه الأمة لا يحمل لها إلا التخلف والانحطاط الحضاري .

ولقد كان (الإنسان) في الأمة الإسلامية هو مدار الحركة الحضارية ، وتمثل
حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام والأجيال الأولى من
المسلمين هذه الحقيقة تمثيلاً واضحاً .

وإذن : فقد كان الإنسان حاضراً ومؤثراً في بناء الحضارة الإسلامية .. وإلا
(فمن الذي دخل في الصراع مع الشرك حتى قضى عليه ؟ ، من الذي نشر الإسلام
وما جاء به من الهداية والحق والعدل والخير ؟ ، دماء مَنْ جرت في سبيل إنقاذ
الإنسان المسحوق من عبادة العباد وهدايته إلى عبادة الله وحده ؟ ، من الذي ترجم
نتاج الحضارات الأخرى ، واستخرج منها حضارة مستقلة بصبغة إسلامية ؟ ..

ألم يفعل كل ذلك وغير ذلك (الإنسان) المسلم الذي كرمه الإسلام وأعاد إليه
حقيقته الإنسانية في الواقع والحياة بعد أن كان مستلباً ، عبداً للشركاء والأنداد) [1] .

لقد فهم الصحابة (رضوان الله عليهم) والأجيال الأولى من المسلمين : أن
منهاج الله الذي أنزله على رسوله _صلى الله عليه وسلم- ، هو منهاج للحياة
البشرية (يتم تحقيقه في حياة البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية ، وفي حدود
الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة ، ويبدأ العمل من النقطة التي يكون البشر
عندها ، حينما يتسلم مقاليدهم ، ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقاتهم

البشرية ، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة [2] وليس بطريقة خارقة غامضة
الأسباب ! !
ومن هنا : كانت حركة المسلمين الأوائل في سبيل بناء الأمة الإسلامية
والحضارة الإسلامية تقوم على أساس أن العمل وحده هو الذي يخط مصير الأمة في
واقع الحياة ، وأن عرق الأحياء في عمل جماعي مشترك هو الذي يتكفل ببناء
حضارة هذه الأمة ، وأن وجود الحق في الأمة وحتى الانتساب إليه لا يكفي في
التمكين له في الأرض ، إلا أن يكون من يحمل هذا الحق (يعمل) من أجل تمكينه
ونصرته .
( وانطلاقا من هذه المقدمة الموجزة ، نصل إلى تحديد معلم مهم من معالم
الأزمة التي تمر بها اليوم عقلية كثير من المسلمين ، هذه العقلية التي غدت طافحة
بالأفكار النظرية المجردة ، ولكنها ما تزال على الرغم من ذلك عاجزة عن وضع
هذه الأفكار موضع التنفيذ العملي ، أو هي ما تزال مقصرة في تسخير الأفكار
بطريقة واقعية ، تجعلها على أكبر قدر من الفاعلية .. في حين أن أصول هذه
الأفكار نفسها قد نهضت في زمن بأمتنا بل وبالجنس البشري كله نهضة تفوق
الخيال) [3] .
إن المسلمين يمتلكون نظرية صحيحة ومنهجاً متكاملاً ، منّ الله به عليهم يوم
أكمل لهم الدين وأتم عليهم نعمته ، ولكنهم في واقع الحياة يعانون من الاستلاب
الحضاري وانطفاء الفاعلية .. ولذلك ؛ فإنهم يزحفون وراء غبار الركب البشري مع
الزاحفين المنقطعين ..
إن الأفكار تبقى (ميّتة) حتى لو كانت صادقة وصحيحة حين لا تكون ذات
(فاعلية) في إطار زمني محدد ، والأشياء تصبح باهتة ومجرد أكداس إذا لم تكن
متأتية عن حركة الحضارة ومتسقة مع وظيفتها ، والأشخاص يتحولون إلى البداوة
وعدم التحضر عند فقدهم للروابط التي تفسر اجتماعهم وعملهم المشترك في سبيل

أهدافهم الحضارية .

إن التقدم أو التخلف لا يعتمد على الأفكار الصحيحة فقط ، وإنما يعتمد أيضاً
على أسلوب الحياة الذي ينتجه أفراد الأمة في سبيل تحقيق أهدافها ..

ولكي نوضّح أثر أسلوب الحياة على سلوك أفراد الأمة في سبيل تحقيق
أهدافها ، نتصور (لو أن أنساناً سار في البلاد الشرقية الإسلامية ، وتنقل في
تطوافه من مدينة جاكرتا متجهاً إلى أقصى الغرب حتى بلغ مدينة طنجة ، ومر في
مسيرته هذه على مختلف البلاد الواقعة على محور : جاكرتا/طنجة ، لوجد ظواهر
اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد جمعيها .

ولو أن هذا الإنسان نفسه بعد رحلته الأولى شرع في رحلة ثانية على محور
آخر بادئاً من مدينة واشنطن متجهاً إلى موسكو محاولاً زيارة مختلف البلاد التي تقع
على هذا المحور لوجد هنالك أيضاً ظواهر اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد
جميعها ، وتختلف اختلافاً تامّاً عن الظواهر الأولى .

**في البلاد الثانية يلاحظ المتأمل ما يلي :**

أ- فاعلية هؤلاء الناس وحياتهم المملوءة جدّاً وحرصاً على الوقت وتنظيمه .

ب- الاستفادة من هذا الحرص وهذا التنظيم لتكون محصلة العمل الذي يتم
أكبر محصلة ممكنة .

ج- ظاهرة التخصص لدى أفراد المجتمع واضحة بالغة حدّاً كبيراً من الدقة ،
وفرة الإنتاج لدى هؤلاء وفرة تزيد عن حاجاتهم أضعافاً كثيرة ، وشبيه بهذا المجتمع
مجتمع النحل بما فيه من فعالية وتخصص ووفرة في الإنتاج عظيمة .

**يقابل هذه الظواهر في المجتمع الأول ما يلي :**

1- فعالية تكاد تكون منعدمة ، ونظرة إلى الوقت على أنه لا قيمة له .

2- نشاط متجه إلى اللغو والحديث الغير منتج .

3- وبعد هذا كله : فالتخصص مفقود ، والجهود مبعثرة .

4- والإنتاج أضأل من حاجات المجتمع ، ولذلك : كان هذا المجتمع عالة
على المجتمع الثاني في حاجاته الحيوية .

من أجل ما سبق : سمي المجتمع الأول متخلفاً ، والثاني حضاريّاً ، ولقد امتن
أفراد المجتمع الثاني على أفراد المجتمع الأول فرأوا أن يعدلوا عن تسميته متخلفاً
إلى تسميته مجتمعاً آخذاً في النمو [5] ، ولكن نواياهم الحقيقية مكان ارتياب كبير .

ومن أجل ما سبق : فرض المجتمع الثاني على الأول سبقه ، وتقدمه ، وبالتالي : وصايته وسيطرته ، كما فرض عليه ضرورة الاقتداء به وإسراع السير للحاق به) [6] .

إن الإنسان الذي يعيش على محور جاكرتا / طنجة ، يواجه المشكلات نفسها
التي يواجهها الإنسان على محور واشنطن/موسكو .. فهو يكدح من أجل قوت أبنائه ، ويناضل في سبيل بناء أمته ، ويعمل بصورة ما لتدعيم حضارتها .. فما الذي
جعل مجتمعات الإنسان الأول تصنف على أنها مجتمعات متخلفة ، ومجتمعات
الإنسان الثاني تصنف على أنها مجتمعات متقدمة ؟ .

لا شك أنها (الفاعلية) في المجتمع الثاني التي دفعت به إلى التقدم ، وغياب
هذه الفاعلية في المجتمع الأول هو الذي جعل منه مجتمعا متخلفاً ، (فعلى محور
(واشنطن/موسكو) توجد ديناميكية خاصة تختلف عن ديناميكية محور
(طنجة/جاكرتا) ، والفرق منحصر في أن الثرثرة تكثر كلما قل النشاط والحركة ، إذ
حيثما يسود الكلام تَبْطُؤ الحركة .. وميزانية التاريخ ليست رصيداً من الكلام ، بل
كتل من النشاط المادي ، ومن الأفكار التي لها كثافة الواقع ووزنه) [7] ولذلك :
كانت المجتمعات التي لا تمتلك إلا رصيد (الكلام) هي المجتمعات المتخلفة ، وكانت
المجتمعات التي تمتلك رصيد (العمل) والنشاط هي المجتمعات المتقدمة .

إنه قد يكون من الأولى للمشتغلين بعملية بعث الأمة الإسلامية وإحيائها من
مواتها من الإسلاميين الذين يكتبون ويحاضرون ويتحدثون عن عظمة الإسلام الأمر
الذي أصبح يقيناً عند معظم المسلمين اليوم أن يتفقوا ولو مرة واحدة للقيام بعمل
حقيقي يبدأ من الإجابة على السؤال الحيوي : لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا لم

يُحدث الإسلام هذا الدين العظيم التفاعل والتغيير المطلوبَيْن في واقع الأمة الإسلامية
اليوم ؟
إن الإجابة المحددة عن مثل هذه الأسئلة هي التي تسهم في تغيير واقع الأمة ،
وتحقق لها النقلة النوعية نحو التقدم والحضارة .
لقد زعمت القيادات العلمانية في بلاد الإسلام أن الكثافة البشرية للمجتمعات
الإسلامية هي السبب الأول في تخلفها .. فهل هذا هو السبب الحقيقي ؟
( والشاهد من هذا كله : أننا نحن المسلمين لم نتعامل إلى الآن مع قضية
الكثافة البشرية من منطلق حضاري واقعي ، صحيح أن هناك معاناة شديدة في
بعض بلدان العالم الإسلامي ، ولكن سبب هذه المعاناة ليس في عدد السكان بقدر ما
هو في الإدارة الفاسدة السيئة التي تشرف على إدارة الموارد [8] .
( إن الأرض الإسلامية من المحيط إلى المحيط هي بقدر من الله أغني بقعة
في الأرض وأكثرها خيرات ، وقد كانت وماتزال حتى هذه اللحظة لم تستثمر
الاستثمار الكامل ، الذي يستغل كل مواردها وكل طاقاتها) [9] ؛ ولذلك : فإن أهل
تلك الأرض الإسلامية رغم بترولها ، ومعادنها ، ومواردها المائية ، وقوّتها البشرية
هم أفقر أهل الأرض جميعهم وأكثرهم مشكلات !
إن السبب وراء فقر الأرض الإسلامية وكثرة مشكلاتها ليس قلة مواردها ،
وإنما (هو التقاعس ، والتواكل ، والضعف العلمي ، ووهن العزائم ، والانصراف
عن عمارة الأرض ، والرضى بالفقر على أنه قدر من الله لا ينبغي السعي إلى
تغييره خوفاً من الوقوع في خطيئة التمرد على قدر الله) [10] .
(إنه ليس من الضروري (ولا من الممكن) أن يكون لمجتمع فقير المليارات
من الذهب كي ينهض ، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعه الله بين يديه : الإنسان ،
والتراب ، والوقت) [11] .
ولذلك : فإن الجهد الأكبر لا بد أن يوجه لصناعة الرجال الذين يتحركون في
الواقع ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب من أجل بناء نهضة الأمة الإسلامية .

إذن : لابد من التفكير في أمور ثلاثة : في بناء الإنسان بناءً كاملاً ، ويعتني
في الوقت ذاته بالتراب ، والزمن .. (فإذا فُعِل ذلك ، فإنه حينئذ قد كُوّن المجتمع
الأفضل ، وكوّنت الحضارة التي هي الإطار الذي تتم فيه للفرد سعادته ، وللأمة
تقدمها) [12] .

وإذن : فإن الخطوة الأولى على طريق الحضارة هي التفكير في الإنسان الذي
لم يتحضر بعد ، ومحاولة توفير الشروط التي تحقق له ما ينبغي من الفاعلية التي
تؤهله لحمل رسالته وبناء حضارة أمته (فحاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد ..
الإنسان المتحضر .. الإنسان الذي يعود إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا منذ
عهد بعيد . وصياغة هذا الجهاز الدقيق الذي يسمي (الإنسان) لا تتم بمجرد إضافة
جديدة إلى معلوماته القديمة ؛ لأنه سيبقى هو قديماً في عاداته الفكرية ، وفي مواقفه أمام المشكلات الاجتماعية ، وفي فعاليته
إزاءها ، وعلى الأخص في ( لا فعاليته) [13] التي يدركها كل من ينظر
نظرةً فاحصةً إلى واقع الأمة الإسلامية ، مقارنة بغيرها من الأمم ...

ولكي نوضح ما نقصده بقولنا : إن حاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد ..
الإنسان الفعال .. وأنه لابد من توفير الشروط التي تحقق له ما ينبغي من الفاعلية :
ننظر إلى واقع بلد مثل (اليابان) .. ذلك البلد الذي يعيش في منطقة فقيرة في المواد
الخام كالبترول والمعادن ، كما أنها ليست استراتيجية من ناحية الوضع الجغرافي ،
ولكنه في ظل هذه الظروف الصعبة يتقدم يوماً بعد يوم ، بل ويغزو إنتاجه العالم
الغربي ..

( لقد كانت مصر واليابان ذات يوم متأخرتين على مستوى واحد أو
متقارب ، ودخلتا الخضم في وقت واحد أو متقارب .. فمضت اليابان في الشوط حتى سبقت
السابقين الذين تتلمذت عليهم من أهل الغرب ، وتعثرت مصر في خطواتها ،
وتخاذلت ، وانتكست عدة مرات .. لماذا ؟ !

أحست اليابان بالحاجة إلى النهوض وهي محتفظة بذاتيتها ، فأعطت من نفسها
العزيمة المطلوبة ، وبذلت الجهد المطلوب ، وأحست مصر بالحاجة إلى النهوض

وهي مسلوبة الشخصية ، فلا شخصيتها الإسلامية كانت حية تدفعها إلى العمل ، ولا
اكتسبت وهي في موضع التقليد ذاتية مستقلة ، لأن التقليد يقتل الذاتية ولا ينميها ،
ومن ثم : ظلت في مكانها ، أو تحركت خطوات متخاذلة متعثرة ، لا توصّل إلى
شيء ذي بال) [14] .

إن اليابان بدأ الطريق إلى التقدم ببناء الإنسان المتحضر والمجتمع المتحضر ،
ودرس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته ، وليس بالنسبة لشهواته ، (فالفارق العظيم
بين الصلة التي ربطها اليابان بالحضارة الغربية وبين صلتنا بها : أن اليابان وقف
من الحضارة موقف التلميذ ، ووقفنا منها موقف الزبون ! ! إنه استورد منها
الأفكار بوجه ونحن استوردنا منها الأشياء بوجه خاص) [15] .

والأمة الإسلامية إذا أرادت التقدم ، وأحست بضرورة أن تدخل السباق
الحضاري ، فإنه لا سبيل لها إلى ذلك إلا أن تقف هذا الموقف المتوازن ، فتدعو
إلى الاستفادة مما عند الغرب من تقدم مادي وعلمي وحضاري ، وفي الوقت ذاته
تَحْذَر من الذوبان في شخصية الغرب .

(وبمثل هذه الروح يمكن للعالم الإسلامي أن يحل مشاكله ، فحين يسترد
ذاتيته المفقودة سيكون أقدر على الاستفادة من تقدم الآخرين المادي والعلمي ،
أضعاف أضعاف ما يستفيده اليوم وهو في موضع التقليد كالعبيد .. وعندئذ يتقدم ،
ويتغلب على (التخلف) الذي يرى البعض أنه العقدة التي لا تحل) [16] .

إن الأمة الإسلامية قادرة على أن تنهض من تخلفها وعجزها وهوانها وواقعها
الراهن ، كما نهضت اليابان من تحت أنقاض هزائمها وكوارثها ودمارها المادي
والمعنوي ، لتصبح رغم ضيق مساحتها ، وحرمانها من الثروات الطبيعية
الضرورية .. تصبح الدولة الثانية في العالم بمقياس التقدم الصناعي والتجاري .

ما الذي ينقصنا عن الشعب الياباني الذي لم يكن يملك غداة انتهاء الحرب

العالمية الثانية إلا مدناً خربة ، وصناعةً مدمرة ، فشق طريقه بعزيمة صادقة ،
وإرادة صارمة ، ووسائل مكافئة للحاجة والأهداف ، حتى غزت صناعته أسواق العالم ... وأصبح الغرب يبحث عن سبيل اللحاق بهذا الشعب .
وكذلك الشعب الألماني ، صاحب أقوى دولة أوربية اقتصاديّاً .. كيف خرج
من الحرب العالمية الثانية ؟
لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الثانية وهي تحمل ذكرى عشرة ملايين
قتيل ، ولا تمتلك إلا أنقاض حضارة سادت ثم بادت ، ولكنها بالعمل الجدي البصير
المستمر تغلبت على مشاكلها ، وتقدمت ، واستعادت كل قوتها وأكثر ، وأصبحت في
سنوات معدودات أهم دولة في أوروبا ، وواحدة من أهم دول العالم في الصناعة
والتجارة والاقتصاد والتقدم العلمي ، وأيضاً في دورها وأثرها في حركة المجتمع
البشري !
( إن سر تقدم الأمم يكمن دائماً في القدرة على تسخير القوى المتاحة ، وإذا
أرادت الأمة الإسلامية أن تنهض وتتقدم ، فليس أمامها من سبيل إلا أن تتصرف في
حدود ما تملك فعلاً ، لا أن تحلم بما هو خارج عن أيديها ، لأن مثل هذه الأحلام لا
تثمر في النهاية إلا الحسرة والندامة .
وحين تتصرف الأمة الإسلامية فيما تملك وفق السنن ، التي فطر الله عليها
أمور الخلق فإنها بهذا تستثمر الطاقات المتاحة على أحسن وجه) [17] .
(إن وطناً متخلفاً لابد له إذا أراد التقدم أن يستثمر سائر ما فيه من طاقات ،
يستثمر كافة عقوله وسواعده ودقائقه ، وكل شبر من ترابه ، فتلك هي العجلة
الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية [18] وبالتالي : حركة حضارية
في ذلك الوطن .
إن المتأمل للنماذج التنموية في الأمة الإسلامية ، يجد أن الأنظمة العلمانية
القائمة عليها تركز على عنصر رأس المال ، بل وتزعم أنه العنصر الوحيد القادر
على تحقيق التنمية في دول العالم الإسلامي ، وأنه لا سبيل لهذه الدول للخروج من

التخلف إلا باستيراد التقنية ! !
ولا شك أن هذه الطريقة في بناء التقدم لاتقيم تقدماً حضاريّاً ، ولكنها تعطي
مظهراً مزيّفاً من التمدين عندما يقيم المخدوعون بهذا الزيف المصانع العملاقة ، ثم
يستوردون لها كل المعدات من الغرب ، بل ويستوردون كوادر العمل في هذه
المصانع .
ومن هنا : فإن هذه المصانع والمشروعات التنموية رغم الحجم الكبير للإنفاق
فيها لا يكون لها أدنى أثر في تقدم الأمة الحضاري ، وما ذلك إلا لأن (الإنسان) في
كل هذه المشروعات كان غائباً .
إن التنمية الناجحة تعتمد أساساً على تحول (الإنسان) ، ولذلك فلا بد أن
يتحول اهتمامنا بالتكنولوجيا ورأس المال إلى (الإنسان) .. كيف نعيد تشكيل عقله
وفق المنهج الإسلامي ؟ وكيف نعيد إليه الفاعلية التي يمنحه إياها ذلك المنهج ؟
وكيف نحرره من روح الاتكالية ، وندفعه إلى التطلع إلى التقدم ؟
فإذا استطعنا الإجابة على هذه الأسئلة ، فقد وضعنا أقدامنا على أول الطريق
للتقدم والخروج بالأمة من مرحلة (القصعة المستباحة) إلى التمكين والريادة .
إن الطريق إلى التقدم والحضارة والريادة ، يقضي ببتر كل علاقات التبعية
للغرب مهما كان نوعها ، وتقبل سائر الصعوبات التي تواجه الإنسان عندما يرشد
ويتحمل كامل مسؤولياته .. ولذلك : فإننا إن كنا صادقين في محاولتنا لإخراج أمتنا
من التخلف إلى التقدم ، فلا بد لنا من التحرك في هذا الطريق وإن كان وعراً
وصعباً ، لنعزم العزمة ونمضي في هذا الطريق ، وليعقد كل منا العزم على أن يقلل
شيئاً من تخلف هذه الأمة التي يعيش فيها .. فإذا فعلنا ذلك : فإننا قادرون إن شاء
الله على أن نلحق بمن سبقونا ، بل وربما نتجاوزهم .

**وبكلمة موجزة أقول :**

الإنسان هو أساس الحضارة ، ولذلك : يؤكد منهج التغيير الحضاري الإسلامي
على صياغة الإنسان المسلم من جديد قبل بناء العمارات وإنشاء المصانع وتعبيد

الطرق وتنظيم الحياة المادية ، أو معها على الأقل .. بينما تركز الأيديولوجية
العلمانية على نقل التكنولوجيا وتغييب الإنسان .

ولا شك أن الواقع خير شاهد على أن هذه الأيديولوجية العلمانية لم تفشل في
ردم الهوة الحضارية بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم فقط ، بل إنها ساهمت
في زيادة اتساع هذه الهوة ، لأنها كانت تسير بخطوات الغرب نفسها ، فردت
بضاعة الآخرين إليهم وصبت كل الجهود في محصلته .

وإذن : فالطريق الصحيح للخروج بالأمة الإسلامية من دائرة التخلف : أن
نعود إلى منهاج الإسلام في التغيير الحضاري ، فنقوم بتفجير الطاقات الكامنة في
الإنسان المسلم ، عندها نمتلك القدرة على القفز فوق كل الحواجز لتحقيق التقدم
والإنجاز الحضاري .

إن الأمة الإسلامية لن يكون لها مكان على خريطة المستقبل إلا إذا تاب
أبناؤها من خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل ، وإلا إذا شمر كل منهم عن ساعديه ،
وتعبد لله في ليله ونهاره بالعمل الكثير .. وبدون ذلك ، تبقى هذه الأمة بين مطرقة
الغرب الحاقد وسندان أفعال أبنائها العاجزة ، التي لا تعدو في كثير من الأحيان
مجموعة من الكلمات ! !

إن التخلف الذي ترسف فيه أمتنا إنما هو في حقيقته نتيجة لازمة لكسلنا
وعجزنا عن المبادأة في أي ميدان . ولا طريق لنا إلى التقدم إلا أن نكون على يقين
أن الفاعلية هي طريق الأمم إلى الحضارة .

---

**(1) المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ، د محسن عبد الحميد ، ص 63 ، 64 .**
**(2) المصدر السابق ، ص 65 ، 66 .**
**(3) هذا الدين ، سيد قطب ، ص 6 .**
**(4) أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق ، د أحمد كنعان ص 33 ، 34 .**
**(5) لقد أطلقوا على المجتمعات المتخلفة لفظة (النامية) كي لا تشعر بعمق المأساة ، فلا تتساءل عن سبب تقدم الآخرين وتخلفنا ، ولا تتحول الهزيمة النفسية إذا ما أحستها إلى دافع يفجر فيها روح (التحدي) والرفض للواقع المزري ؛ مما يجرها نحو التغيير من أجل التقدم والرقي .**
**(6) المجتمع الإسلامي ، د محمد أمين المصري ، ص 33 35 .**
**(7) مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، ص 108 .**
**(8) فقه الدعوة ملامح وآفاق ، عمر عبيد حسنة ، ص 175 .**
**(9) واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، ص 181 .**
**(10) المصدر السابق ، ص 181 .**
**(11) بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ، ص 60 .**

**(12) تأملات ، مالك بن نبي ، ص 170 .**
**(13) تأملات ، مالك بن نبي ، ص 190 191 .**
**(14) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟ ، محمد قطب ، ص 242 .**
**(15) تأملات مالك بن نبي ، ص 185 .**
**(16) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟ ، محمد قطب ، ص 244 .**
**(17) أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق ، د أحمد كنعان ، ص 50 .**
**(18) بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ، ص172 .**

## البيان الأدبي

## رسالتان إلى سعد ! !

**شعر :جمال الحوشبي**

## الرسالة الأولى

## إلى المرابط على ثغر الدعوة ينافح عنها !

أيقظتَ ركاماً يا سعد     في صف الصحوة ممتدُ
وبنيت لعزتهم مجداً     وسهرت ليكتمل العقدُ
فبراك نحول من أرق     والسيف يرِقّ له الحدّ
وظللت تجاهد في زمن     حدّاه الدرهم والنقدُ

***

مزّقت بكفك أردية     كانت بالباطل تسوّدُ
وأقمت لواءك منتصباً     من نبعِ الصحوة ممتدُ
ما ذقت الراحةَ من كمدٍ     والخِلْوُ لعيشته رغدُ
ورضيت بأن تحيا حرّاً     وسواك لشهوته عبدُ
قالوا يا سعد لأمتنا :     سعد قد جانبه الزهدُ !
سعد يحتال لنهضتنا     ليقوم لدعوته سدّ
قالوا والحرص رديفهم :     رفقاً بالصحوة يا سعدُ !
ما ضرّك لو قلت : حلالاً ؟     والمكره ليسَ لهُ بُدّ
ما ضرّك لو قلت : سلاماً ؟     والسّلم لأمتنا مَجْدُ
هل تطمع أن ترفع رأساً     ورؤوس الباطل تحتدّ ؟
اللحظ بمبدئنا برقٌ     واللفظ لمخرجه رَعْدُ
والصمت بحكمته بحر     في لجّة حكمته لَحْدُ !
الحكمة يا سعدُ سلاح     والأمرِ بشرعتنا قَصْدُ
قد كان السعد يحالفنا     دهراً من قَبْلِكَ يا سعد
ما ضرك لو عشت عزيزاً ؟     وطريقك .. أنت بِهِ فَرْدُ
فَقَلاك محبّك معتذراً     ورماك الشانئ والوَغْدُ
ما ضَرّك سعد ما فعلوا     فلك الإشراقة والرّشدُ
ومكانك ليس يقاربه     منهم من أصبح يرتدّ
ما كان النصح دليلهم     ولنا من موقفهم عَهْدُ
فلهم أقوال تحسبها     من قوة منطقها تعدو
وفعال تسبح جامدة     ولها في مربطها وِرْدُ
قد كنت الكوكب بينهم     يقضون وأنت لهم سدّ
واليوم تغيّر مبدؤهم     فالقرب بنظرتهم بُعدُ

أفنوا أعمارًاً غالية فغدوا واللحد لهم مهدُ
ما كنت الجاهل في زمن الضّاع بشرعته مُدّ
والظلم بمنهجه عَدْلٌ والحُسْن بِمظهره ضِدُّ
لم تلهك يا سعد قصورٌ وبنين ترضْعهم هِنْدُ
ووظائف في زمن الشهوا ت ومالٌ ليس له حَدّ
تاريخك يا سعد عظيم كالبحر يكلله المَدّ
بالحق سهامك صائبةٌ وسِهام الباطل تَرتَدّ
وبدينك تفخر منتسباً وسِوَاك بنعرته صَلْدُ
أردفت ركابك منطلقاً تسفيك الظلمة والبردُ
وقراحُ الماء تجرّعه صبراً للدعوة يمتدّ
فمَضَيتَ وَركْبُك مِن سفَهٍ يلهون وأعينهم رمدُ
وثباتك للحق قديم والحق بدعوتنا وِرْدُ
فبلغت مرادك منتصراً ولسانك : ربّ لك الحمدُ
ما كنت السالك أوديةً في خضرة فتنتها وَرْدُ
وطريقك لستَ به فرداً فعلام الدمعة يا سعد ؟ ؟

---

البيان الأدبي

## رسالتان إلى سعد [*]

## الرسالة الثانية

**شعر : أسامة جاسر**

سعد طفل من البوسنة .. تبنته أسرة أمريكية بعد أن فقد عينيه إثر هجوم صربي .

لماذا الحزن يا (سعد) ؟ كساك الخوف والسهدُ
قريب أنت من قلبي بعيدٌ والأسى بُعْدُ
وتبكي في صدى نفسي فهل لبكائكم ردّ ؟
غريبٌ في ديار الكفر تشكو والنوى فقدُ
أترضى أن يقال غداً فتى الإسلام مرتدّ ؟
ولكن ليس ذنبُكمُ بريءٌ أنت يا (سعدُ) !
أصدّق جرح نكبتكم إذا ما كذّب الرعدُ
أراك مقيّد العينَيْن هدّ مسيرك القيدُ
تُعاني فقد أحبابٍ وكم ذا يؤلم الفقدُ
وتسأل أمة الإسلام : أين العدل والرّشدُ ؟
وأين سيوف (عكرمة) ؟ وأين بنوك يا (زيدُ) ؟
تقود أسود أمّتنا وخيل الله إذ تعدو
فنعم الركب إذ يمضي ونعم الخيل والأسدُ
فكم مَنْ وجهه نورٌ وكم مَنْ عزمه صلدُ
ونحو الرّوم وجهتهم إلى أن حُقّق الوعدُ
ودار الكون دورته وضاع العزم والعهدُ
وخيرٌ بعده شرّ كذاك الجزر والمدّ
فأين الجيش يحميني ؟ وأين البأس يا جندُ ؟
وأين سيوفكم ؟ صدئت فعافت لونها الغمدُ
تُنادي جند (معتصم) بأرضي عربد الوغدُ
وجال الغدر في داري وصال المكر والحقدُ
بحقّ الله أخبرني تُرى ! هل غادر الوفدُ ؟ !

***

بقلبي أنت يا (سعدُ) لك التّحنان والودّ
فأنت الجرح مذعوراً بصدري فهو يمتدّ
فليس لنزفه حدّ وليس لحده صدّ
وأعيا من وصالكُمُ فبين وصالنا سدّ
عظيمٌ ما تعانيه أليمٌ ما له نِدّ
فحزنك في دُجى بُؤسٍ وطالع نجمنا سعدُ
ونشرب من كؤوس الشهد يشهدُ عيشنا زُهدُ !
وتشرب أنت كأس الموتِ يسكُبها لكم لُدّ
هنا أمنٌ وعافيةٌ هناك الخوف والبردُ
(سراييفو) ألا صبراً دعائي ما له حدّ
وصبراً يافتى الإسلام بُشرى نصرنا تبدو

فيوم النصر موعدنا لنا الإكرام والمجدّ
أزيِّنُ بالرّضى شِعري فيا ربي لك الحمدُ
وكن يا ربّنا عوناً فأنت الخالق الفردُ

***

أزاهر شعري المذبوح ضم رفاتها لحدُ
فهل شعري سيسعفكم إذا نفَسي به يشدو ؟
وهل أزهار أشعاري وبيتٌ زانَهُ وردُ
تصدّ قذائف الأعداء فوق رؤوسكم تغدو ؟
ولكن جهدُ مكلومٍ عسى أن يجدي الجهدُ
أداعب مقلةً ثكلى يحيط بدمعها الوجدُ
وتصنع نزفَ أعصابي جراحٌ ما لها عدّ
وترسم همّ أنفاسي دموعٌ ضمّها خدّ
لعلّ الدمع يشفع لي إذا ما حوسب العبدُ
فيوم الحشر نخشاه إذا ما الحرّ يشتدّ
ونسأل عنك يا (سعد) فهل لسؤالهم ردّ ؟
صمتنا لا لمكرمةٍ ولكن ما لنا بُدّ ؟

---

**(*) وصلت القصيدتان إلى المجلة في وقت واحد ، ومن بلدين مختلفين ، واشتراك الشعور بين مرسليهما جعلنا نشركهما في الظهور في ملف واحد وهما سعدان مختلفان ، عسى أن يكون لأولهما موقع قادم يمنع من تكرر مأساة الثاني .**

# البيان الأدبي

## الغيمة التي لم تمطر بعد

**بقلم :علي محمد**

أما آن لك أن تمطري قبل أن أموت اختناقاً ؟
كان (صابر) ينظر إلى تلك السحابة ، ويستجديها أن تمطر ، وهو يتأمل وجهه
على صفحة ماء النبع الذي يمر بخجل بين الحقول الصغيرة في قريته المستلقية
تحت إبط جبلٍ ضخم ، يربض على الغرب منها وكأنه يدسّها عن أعين تتربص بها
الدوائر .
أمطري ، أغرقيني ، أو فاجعلي برقك المكتوم يحرقني .
ظل صامتاً ينتظر أن يدوي الرعد من صدر السحابة ، .. فإذا بالنبع يكتسي
حمرة ظنها أول الغيث ، لكنه صعق بصوت الغريب الذي نبذته القرية فأقام على
أطرافها إذْ مرّ وهو يردد :
كل مساء يدلف ليلٌ
وعلى فمه بقعة دمْ
كل مساء تهوي ذَبْلىَ
خلف تخوم الظلمة شمسْ
يجرؤ همسْ
كلّ صباح تُشرقُ شمسْ
وعلى فمه كلّ مساء تُسْحق شمسْ !
خُنق الهمسْ فمحى دمَه أثر الشمس .
رفع (صابر) رأسه ، فإذا الأفق تجاه الجبل تغشاه حمرة داكنة ، لم تكن تلفت
انتباهه من قبل ، والشمس تسقط في فم ليل قاسٍ ، وعلى شفتيه بحر دم .
آه أنتِ أنا أيتها السحابة .
لم تمطري بعد ؟
حمل سحابته ، وسار خلف الغريب الذي ابتلعه الظلام ، وصدى صوته يدوّي
بين جنبات الوادي .
ليلٌ فم شمسٌ دم
لكنه لم يتمكن من اللحاق به ، ورويداً رويداً بدأ صوت أمه يخنق صوت
الغريب ليحل مكانه ، وهي تردد : لا بد أن تذعن لرغبات عمك ، إنه عمك الذي
ربّاك وإخوتك .. وضع إصبعيه في أذنيه وهو يصرخ : لا ... لا ... لقد آن أن

تتجرعي ثمرةً مرةً من شجرة العقوق التي غرستيها في مهجتي منذ فرضت عليّ
عمومة هذا الوغد .
ألستِ من صنع له الحبل ليشد منه مشنقتي ؟
أنسيتِ أنك من نزع الجلجل المعلق برقبة ذلك الحمار الذي رُبط برجله
الطرف الآخر لحبل مشنقتي ؟
لا ضير أن أموت ، لكن ذلك الحمار حينما يركض نحو العشب المزيف الذي
ألقيتِ به على بعد خطوات منه لتخدعيه ، لن يشعر إلاّ بقليل من الحسرة والكثير
من المقت والاحتقار ؛ فيركض لمسافة أبعد في المرة القادمة .
والحبل في عنق أخي الآخر .
ومضى يردد كلمات الغريب بين بيوت القرية حتى خرج منها ، وكان الصيف
بحرارته الخانقة رابضاً في بطن الوادي ، وهبوب السموم بين الأشجار كفحيح
الأفعى حين تقتنص رأس الفريسة لتخنقها .
وجد نفسه أمام دار الغريب الذي كان مستلقياً على ظهره خارجها ، وعيناه
ترقبان الجبل الذي جثم على صدر الليل ، فأمسى الليل لا حراك به ، فلا تسمع إلا
أصوات الحشرات ، وكأنها حشرجة أنفاس الليل الذي يحتضر خوفاً من الجبل
الصامت ، قال دون أن يلتفت إلى صابر : كم تثلج صدري هيبة الجبل وأنا أتخيل
الليل ترتعد فرائصه من أن يتحرك .
أصغى إليه صابر وهو يحاول تأملَهُ رغم عتمة الظلمة .
منذ أدركت حقيقة الجبل أحببته وظللت أرقبه ، وأبشّر باليوم الذي يتحرك فيه
حتى اتهمني السّذج بالجنون ، وظلت الشمس التي تعاني من جراحاتها تخرج
مبتسمة كل صباح ، وتشارك الآخرين السخرية مني ، حتى انتبذتُ مكاني قرب
الجبل .
آهٍ ليتني أستطيع الصعود إليه ، لكن السذج سيتهمونني بالصعلكة قبل أن
يقذفني الليل بتلك القرية .
وليتهم يكتفون بذلك ، بل ها هم يقومون بحفر القبور في طريقه .
اقترب (صابر (أكثر ، فعقدت لسانه المفاجأة حين رأى على جبين الغريب

سحابةً أشد قتامة من تلك التي على جبينه ، وأكثر انتشاراً على وجهه .
أدرك الغريب ما يدور بخلده ، لكنه استرسل في كلامه .
آهٍ كم أود معانقة قمة الجبل فلعله يفجر هذه الغيمة السوداء التي تسكن وجهي ،
فهناك تُبدّد الغيوم حينما تلاحقها قمم الجبال .
صمت الغريب .. و (صابر) لم يعد يرى سوى ضخامة الجبل ، ويتخيّل
معاناته وهو يرى الشمس كل يوم تنزف بين فكي الليل ، وهو مكبل بالقبور تحت
قدميه وموثق بشفقته على أولئك المغفلين .
مرت أمام وجه (صابر (نسمة حارقة نبهته إلى أنه بحضرة الغريب الذي
سكت وتخيل أن صمته إيذانٍ له بالحديث .
لم تزرني السعادة أبداً ، فلقد سجنها موت أبي ووضعت أمي مفتاح السجن
بقبضة ذلك الوغد ، الذي زرع الحرمان في قلوب إخوتي قبل قلبي ، وظل يضرب
حولنا سياجاً من العتمة ، وأمّنا في بلاهة وخنوع تقدم له أكثر مما يتمنى حين
تخنقنا ، وتتوقع أنها بذلك تمنحنا طوق النجاة .
والتفت في هذه اللحظة إلى الغريب قائلاً بلهجة الباكي : انظر إلى هذه
السحابة التي على جبيني لم يراكم غيومها إلا أكُفّ القهر .. تأمل جيداً .. إنها تشبه
الغيمة التي على وجهك ؟
لم يرد الغريب ...
اقترب (صابر) من وجهه ، وحدّق فيه فلم يجد سوى غيمة سوداء جامدة لم
تمطر ، فأصابت قلب الغريب بالقحط والجفاف ، فمات ..
وتذكر تلك النسمة الحارقة قبل قليل .
آهٍ .. حتى أنت أيها الغريب رفضت سماعي ، وأنت تشاركني وطأة الغيوم ،
إن الموت ليس نهاية المطاف ، لكنني لن أرضى أن تظل هذه الغيمة تخنق أنفاسي
أو أظل أرقب الجبل ، لكن قبل ذلك : لا بد أن أواري جثمان هذا الغريب ، وأمسى
ليلة يحفر القبر ، ومع شروق الشمس كان الغريب تحت الثرى ..
و (صابر) الذي أنهكته تفاصيل الليلة السابقة ، ينظر إلى الشمس التي لم تزل
تخرج رغم معاناتها .
فاستلقى تحت شجرةٍ قرب الغريب ، والتفت ليتأكد أن ما عاشه الليلة الماضية

لم يكن حلماً ، فرأى القبر وأخذ مزودة الماء ، وتوضأ ، وبدأ رحلته إلى الجبل ،
وعيناه لا تريان إلا القمة .
يطأ الشوك ... فلا يبالي ... وتخترق أذنيه نداءات العاطلين فيخرجها من
الجهة الأخرى ، وبدأ يتجاوز بعض القبور التي تحيط بالجبل ، وهي تزداد كثافة
كلما تقدم في الطريق ، والحجارة تدمي عقبيه ، وأصوات المغفلين تقذفه بما تعرف
وما لا تعرف ، فلم يبال بها ، لكن بعض الأصوات مزّقت قلبه فلم يجد بدّاً من
الالتفات للتأكد من أصحابها .
إنهم إخوته الذين اختار هذا الطريق لتخليصهم .
كانت أمه وبعض إخوته أكثر من يرجمه بالحجارة والبذاءة ، وبعض إخوته
يرقبه بصمت .
وبدأ الليل كالأخطبوط يجذب الشمس إلى فيه ليقطع (صابر) الطريق إلى قمة
الجبل ، لكن (صابر (لم يعد يملك إلا المجازفة ، فإما الوصول إلى القمة ليفجر عليها
سحابته التي على وجهه فتمطر ، أو يحرقه البرق الذي بصدرها ويشعل النار في
رأس الجبل لتكون دليلاً يقود الآخرين ممن تعتمر الغيوم جباههم ، أو يمزق بطن
الليل ويخرج الشمس منه لتبقى مضيئة حتى تحرق العيون التي لا تعيش إلا في
الظلام الدامس .
لكن الليل ابتلع الشمس كعادته ، والمغفلون ما زالوا ينتظرون أن يصاب ذلك
الصعلوك بلعنة الجبل التي يخافونها ، ويشكرون الليل أنه يحجب عنهم الجبل حينما
يريحهم من رؤيته كل مساء .
ودوت في قمة الجبل صرخة أفزعتهم ، وإذا بالنار تشتعل في القمة والبرق
يمزق السماء ، وإذا بهم تتهلل أساريرهم ، لكن الصرخة لم تنته ، والنار بدأت في
الانحدار بشكل سريع ، وصوت (صابر) يرتفع ، والنار تلتهمه ، فقذف بنفسه من
قمة الجبل ، وقبل أن يصل الأرض استيقظ من حلمه ، وإذا بالشمس قد اشتدت
حرارتها ، والشجرة لم تعد تظلله وهو يلهث من شدة العطش ، وعيناه في اتجاهين

مختلفين إحداهما ترمق قمة الجبل ، والأخرى تتمعن قبر الغريب والغيمة السوداء
بينهما لم تمطر ، وحينما كرر نظرته وجد أمه وإخوته يحولون بينه وبين رؤية
الجبل وعمه يبتسم بجوار قبر الغريب .

---

# نص شعري

## ابتسم فأنت .. مسلم ! !

**شعر :مشتاق حسين**

حَطّمِ العودَ مُثيرَ الشجَن   نَغمَةُ الحُزنِ مُجاجُ الأذُنِ
ازْرَعِ البَسْمَةَ في الكونِ ولا   تَقْتُلِ الحُسْنَ بِخَلْقِ الحَزَنِ
كُنْ سَفيرَ السّعْدِ في كَوْكَبِنَا   بِابْتسَامٍ مِثلَ طه فَكُنِ
كانتِ البَسْمَةُ لا تَهجُرُه   ابْتسامُ المَرْءِ بعضُ السّنَنِ
رُتّبَ الأجْرُ على البَسْمَة وال   عَبْسُ بئسَ الفِعْلُ بخسُ الثمنِ
بَسْمةُ الطِّفلِ يَراعٌ عَجَبٌ   تنقلُ القَفْرَ إلى روضٍ سَنِي
فَاعْزِفِ اللّحْنَ بأوتَار الهُدى   ثمّ في بِشْرٍ أخَيّاً غَنّنِ
يَصْدَحُ البُلبلُ في السجنِ كما   يُبدِعُ الحُرّ بأعْلَى الفَنَنِ
كُنْ سَمَاءً حينَ تَبكي فَرَحاً   دَمْعُها الحُلْوُ حَياةُ المُدُنِ
وغَمَامُ الحُزْنِ يبكِي مَطَراً   حَامِضاً يُهْدي الرّدَى في سَنَنِ
نِعمةُ النّسْيانِ أغلَى المِنَنِ   لَفّتِ الأدْمُعَ مِثْلَ الكَفَنِ
أنَا لمْ أدْعُكَ أنْ تَضْحَكَ في   مَأتم أوْ سَوْدَةٍ في الفِتَنِ
أو تظُنّ الطّودَ أدْنَى حَجَرٍ   أوْ تَخَالَ العِطْرَ وَسْطَ النّتَنِ
أنْتَ إنْ لَمْ تَكُ ذِكْرى أمَلٍ   أيها المسلم فِينا فَمَنِ ؟ !

---

# البيان الأدبي

## صوت جديد : أمتي

**شعر : د . علم الدين مصطفى**

وطريقكِ المفروشِ بالأشْواكِ ؟ ! أَوَصَلتِ رغم الجُهدِ والإنهاكِ
والذارفاتِ دماً هُما عيناكِ ؟ وخُطاكِ تلكَ المثقلاتِ مِنَ الأسى
أم في الترابِ الوهنُ قَدْ واراكِ ؟ هَلْ شانَ وجهَكِ ذلّهُ وهَوَانُهُ
وسَقَاكِ مُرّ كؤوسِهِ فرواكِ ؟ أم ذا صَغَارٌ قدْ كساكِ بثوبهِ
مَنْ عَنْ طريقِ الرّشْدِ قد أعْماكِ ؟ باللّهِ مَنْ في الوَحْلِ قَدْ ألقَاكِ ؟
تَبّتْ يدا جَزّارِكِ السّفّاكِ ! مَنْ فيكِ قد ذبحَ السماحةَ والتّقَى ؟
يا ويلَهُ من كاذبٍ أفّاكِ ! مَن قالَ إنّكِ قد طوتكِ يَدُ الرّدَى ؟
سفحَ الدموع على عهودِ صباكِ فكفاكِ مِن هَذا البُكاءِ وَوَدّعِي
في ليلِ تيهٍ طالَ فيه سُرَاكِ ها آذنَ الفجرُ الجميلُ بنورِهِ
هذا صداهُ سارَ في الأفلاكِ صوتٌ جديدٌ أمّتي ناداكِ
دنسَ السنينِ ، فإنهُ آذاكِ فلترفعي عنك القناعَ وتنفضي
ومآثراً جادَتْ بها كفّاكِ قُومِي أعيدي للدّنا ذكراكِ
ومفاخراً شهدتْ بها أَعْدَاكِ فضلاً وعدلاً ، رحمةً وهدايةً
قد كانَ بالعزّ الأثيلِ سقاك عودي لمنبعكِ الأصيلِ فطالما
دكّت حصونَ البغي والإشراكِ أبطالُكِ الغُرّ الكرامُ ألم تكنْ
لم يعرفوا نورَ الهُدى لَوْلاكِ أوَ لمْ تكوني للورى بدرَ الدّجى
والخيرُ والإيمانُ غرسُ يَدَاكِ بَدّدْتِ بالقرآنِ ظُلمةَ كونِهِم
رَفعتْ قديماً في الوجود لِوَاكِ فاعطِ القيادَ لِعُصْبةِ الحقّ التي
خيلَ الجهادِ إلى رفيعِ ذُراكِ هُبّي وبِسْمِ اللّهِ ربّكِ فاركبي

---

المسلمون والعالم

## اتفاقية التجارة العالمية GATT

## قراءة في تقرير .. وأسئلة ملحة ...

**بقلم : ياسر قارئ**

إدراكاً منهم لصعوبة المواجهة العسكرية مع المسلمين في ظل راية الجهاد ،
عدل أعداء الإسلام إلى وسائل أشد فتكاً وأقل إثارة لقمع المارد الإسلامي ودحضه
ورده إلى موقعه الذي يليق به كما يتخيلون ؛ وأنشطة المنظمات الدولية التي ترعى
تلك الوسائل والأساليب مجهولة إلى حد كبير لدى كثير من المثقفين داخل حدود
أوطانهم وخارجها ، ومتابعة ذلك تبدي لك حجم الفراغ والهوة التي بيننا وبين
المخططات العالمية للانقضاض علينا من كل حدب وصوب ؛ وما ذاك إلا بسبب
عدم إلمام الكثيرين أو عدم اكثراثهم بتلك المؤسسات ؛ تقليلاً لشأنها أو لندرة
المصادر التي تحكي واقعها في ظل التعتيم الإعلامي عن سياسات القوم والانصراف
إلى البرامج الرياضية والمجلات النسائية الرحبة ، من أجل ذلك كله أسوق إليك
أخي القارئ الكريم ملخصاً موجزاً لما احتواه تقرير غربي [*] عن الاتفاقية العامة
للتعريفات والتجارة ، التي يرمز لها اختصاراً بـ ، التي تمخضت عنها (منظمة
التجارة العالمية) .

يحتوي التقرير على ثلاثة وعشرين فصلاً ، يتحدث الأول منها عن نشأة
الاتفاقية والجولة الأخيرة المعروفة باسم (أوراجواي) (وهي الدولة التي انبثقت منها
الاتفاقية عام 1986م) ، ثم تغطي الفصول من الثالث وحتى الحادي عشر الاتفاقات
المتعلقة بالزراعة ، والمنسوجات ، والملابس ، والخدمات ، والاستثمارات ،
والملكية الفردية ، وتسوية المنازعات ، والدعم ، والرسوم ، والضمانات ، وسياسة
الإغراق ، بينما يركز النصف الثاني من التقرير على آثار هذه الاتفاقيات على كل
القطاعات السابقة .. (من 12- 15) ، ثم على دول أوروبا الغربية والاتحاد

السوفييتي (السابق) ومنطقة آسيا الباسفيكي ، وأمريكا الشمالية واللاتينية ، فالشرق
الأوسط وإفريقيا (16 22) ، أما الفصل الأخير فيلقي الضوء على المنظمة العالمية
ومستقبلها .
يصطدم القارئ من العالم الثالث من الصفحة الأولى بحقيقة هذه الاتفاقية
وأثرها ؛ إذ يتعجب المؤلفان من تغير توجهات الدول النامية وانضمامها إلى
المفاوضات في الوقت الذي كانت تمر فيه الجولة بانتكاسات ومصاعب جمة ، على
الرغم من الخسائر التي ستتعرض لها تلك الدول (وهي المستوردة للغذاء) على
المدى القصير ، هذا بالإضافة إلى دور الاتفاقية في انتقاص جانب السيادة على
السياسة الداخلية للدولة ، على الرغم من عبادة تلك الدول وتقديسها للاستقلالية
السياسية ! ! (ص13) ، وليس هذا فحسب ، بل ستكون المنظمة الشريك الثالث
لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في وضع السياسات العالمية ، كما عبر عن ذلك
(بيتر سذر لاند) مدير عام الاتفاقية (ص4) ، فضلاً عن اختلاف الخبراء حول
الجدوى الاقتصادية للاتفاقية على مدى العقد القادم ؛ بسبب زيادة نمو التكتلات
الاقتصادية الإقليمية القوية ؛ الأمر الذي يؤذن باندلاع الحروب التجارية بين الدول
(ص6) .
أما أهم مكاسب هذه الجولة الأخيرة فهي : دخول مجالات الزراعة
والمنسوجات ضمنها ، وتطبيق الجزاءات ضد الدول المنتهكة لأحكام الاتفاقية ، وفي
هذا الصدد : فقد أعلنت أمريكا عزمها على استغلال حق المطالبة بالتعويض أو
فرض العقوبات التجارية (في حالة فشل الوصول إلى حل مع المخالفين) إلى أقصى
أبعاده (ص2) ، فإذا كان هذا توجه الدولة التي تقود العالم ، فماذا عسى التابعين أن
يفعلوا ؟ !
بدأت جولة أوراجواي سنة 1986م ، وهي الثامنة ، إذ عقدت الجولة الأولى

في جنيف عام 1947م بعد نهاية الحرب الكونية الثانية بمشاركة ثلاث وعشرين
دولة ، وبمرور الوقت ازداد عدد المشاركين ، وبالتالي : طول فترة انعقاد الجولة
بسبب تشعب المواضيع والخلافات حتى اختتمت في سنة 1963م وقد وصفها (سذر
لاند) بأنها لحظة حاسمة في التاريخ الحديث (ص1) ، فلماذا ؟

لقد استنتج الساسة الأمريكيون : أن انهيار التجارة الدولية ، وزيادة عدد
التكتلات التجارية ، بالإضافة إلى التصعيد الجمركي الذي عمق الكساد وتسبب في
قطبية التجارة الدولية : هما سببا قيام الحربين العالميتين (ص9) ؛ لذلك : فإن قيام
نظام دولي للتجارة سوف يقلل من فرص الحرب في الوقت الذي تملي فيه أمريكا
شروطها بحكم أنها المنتصرة في الحربين والدولة ذات الوزن الاقتصادي الأثقل في
العالم ، بمعنى آخر : فإن نظام التجارة المطلوب والمتوقع هو الذي يحقق مصالح
الدول الكبرى فقط !

## ثلاث نقاط مهمة :

سوف أضرب صفحاً عن الفصول التي تتحدث عن الاتفاقيات ذاتها ( 311) ،
وذلك لكونها معلومات وإحصاءات علمية صرفة ، وكذلك لإبقاء الموضوع مختصراً
قدر الإمكان ، خاصة وأن الهدف المنشود هو : بيان أثر تلك الاتفاقيات التي هي
فرع عن مضمونها ، إلا أن هناك ثلاث نقاط ينبغي التوقف عندها مليّاً :

الأولى : فيما يتعلق بالزراعة ، يقول التقرير : إنه على الرغم من الصراع
بين أوروبا وأمريكا واليابان واستراليا ونيوزيلندا (أين الدول النامية ؟ ) ، إلا أن
الحل النهائي يمثل في تحرير القطاع الزراعي في ثلاثة مجالات ، هي : النفاذ إلى
الأسواق ، والدعم المحلي ، ومنافسة الصادرات ، كما تتضمن النتائج طلباً بمعالجة
خاصة لوضع الدول النامية (ص21) .

إن الأمر في غاية الوضوح : فالدول المتنفذة تفرض سياستها ، وما على
المعدومين إلا التقدم بطلب الاسترحام ، وإلا فالأسواق يجب أن تفتح ، والدعم يجب

أن يرفع ، وإلا ستبادر أمريكا إلى استخدام حقها في الرد المناسب على المخالفين
لبنود الاتفاقية كما ذكرنا . فهل ستكون هناك زراعة محلية مستقبلاً ؟ وما هو حجم
الخطر الذي يشكله الاعتماد على الواردات الزراعية ، وبالذات في مجال استقلالية
القرار والدار ؟ .

النقطة الثانية : وهي تكشف مدى مأساوية الواقع الذي تعيشه الدول النامية ،
إذ تصف الأمم المتحدة في تقريرها لعام 1975م : أن براءات الاختراع تأتي من
خمس دول متقدمة فقط ، وهذا يعني أن حماية حقوق الملكية الفكرية سوف تساهم
في زيادة عجز الميزان التجاري بين الدول المتقدمة والنامية ، وعلى الرغم من
مقاومة أمريكا و أوروبا لهذا القرار المجحف ، إلا أنهما خضعتا لضغوط شركات
صناعات الأدوية والملابس من أجل مراقبة وحماية تلك الحقوق (ص45) ، وهذا
يعني إبقاء العلاج والكساء بعيداً عن متناول أيدي المحتاجين في العالم النامي ، فبعد
الزراعة جاء دور الطب ، لكن صبراً .. أليس هناك منظمات غربية خيرية تسد هذا
الفراغ ؟ الجواب نعم ، لكن .. ما الثمن الذي تطلبه في المقابل ؟

النقطة الثالثة : وتظهر حقيقة تلاعب الدول الكبرى بالاقتصاد العالمي وقوانينه
بصورة لا لبس فيها ، فالطائرات مثلا تكلف كثيراً في صناعتها ، وبالتالي : هي
صناعة توصف بأنها احتكارية ، لكن أوروبا ممثله ببعض دولها أسست شركة
(إيرباص) ودعمتها ماليّاً لتتحدى بها الهيمنة الأمريكية على الطيران والفضاء ،
خاصة وأن أمريكا تدعم الشركات المصنعة لديها من خلال الإعانات العسكرية غير
المباشرة ، وكلاّ من أوروبا وأمريكا خالفا نظام التجارة العالمي ، ولم يتعرضا لأي
عقوبات (ص74) .

ثمة أسئلة كثيرة تطرح نفسها هنا ، لماذا يتنافسون وهم على مذهب اقتصادي
واحد وملة دينية واحدة ؟ ولماذا لا يعاقبون على خرقهم للقانون الذي فرضوه على

العالم بأسره ؟ ومتى تكون للدول النامية سياسة مستقلة ومُجْدية كهذه ؟ !

**من آثار الاتفاقية الخطرة :**

يخوض التقرير بعد ذلك في آثار الاتفاقية على الزراعة والصناعة والحواجز
غير الجمركية وقطاع الخدمات ، فأوروبا مثلاً تساهم في تصدير 47% من إجمالي
الصادرات الزراعية العالمية ، ولكن 90% من تلك الصادرات لا تتعدى أوروبا
الغربية ! (ص77) ، أليس هذا هو الأمن والتكامل الغذائي الذي ترعاه أوروبا
؟ ثم : إن دعم الدول الصناعية لزارعيها سيقلل من حصة الدول النامية
من هذه التجارة ، في الوقت الذي سترتفع فيه أسعار الصادرات الزراعية الأوروبية ، وتتفق
الدراسات العلمية على حتمية هذا الارتفاع في الأسعار ، وبالتالي : فإن الخاسر
الأكبر هو الدول الإفريقية والآسيوية ، بينما ستمتلئ جيوب الفلاحين في أمريكا
الشمالية والجنوبية و أوروبا (ص81 - 82) .

أما في مجال الصناعة فإن استفادة الدولة النامية وبخاصة في مجال الملابس
والمنسوجات والأغذية والمواد الخام طفيفة جدًّا ، بيد أنها ستحدث انتعاشاً في
صناعة الحديد والصلب والمعدات الصناعية والكيميائية والسيارات في أوروبا
وأمريكا (ص92) ، وهذا يذكر بالمثل القائل (ما تجمعه الذرة في سنة يأخذه الجمل
في خُفّه) !

كما يشير تقرير الأمم المتحدة سنة 1988م إلى أن التأثير الإجمالي للحواجز
غير الجمركية على الواردات من الدول النامية أكبر منه على واردات الدول
المتقدمة التي تستخدم هذا الأسلوب لحماية قطاعات الأغذية والحديد والمنسوجات
والسيارات في بلادها (ص94) ، والأعجب من هذا الانحياز الغربي أو العداء
المستحكم أو التعالي الأوروبي العرقي هو : زيادة نسبة الحواجز غير الجمركية
على القطاع الذي يتوقع الفقراء الاستفادة منه ، ألا وهو قطاع الملابس : وذلك
بسبب وفرة ورخص الأيدي العاملة ، وتوفر المواد الخام وقلة تكلفتها (ص95) ،

بعبارة أشد وضوحاً : إن الدول المتقدمة عاقدة العزم على إبقاء الدول النامية في
حالة التبعية المطلقة إلى أجلٍ غير معلوم ، طالما استمرت الأخيرة في الاستماع إلى
نصائح الخبراء الغربيين وإقصاء الناصحين المخلصين ، ويؤيد التقرير هذه النظرة
القاتمة بتأكيده على استفادة أوروبا في المجالات الصناعية عموماً ، مما يعني
استمرار ارتفاع مستوى المعيشة في الغرب وانخفاضه في الشرق (النامي) ،
وبالتالي تعميق الفجوة الحضارية أكثر فأكثر ! وليست مجالات الخدمات
والاتصالات والمدارس والمصارف والمستشفيات والمواصلات بأفضل حال من
سابقيها فيما يتعلق بالعالم الثالث ؛ إذ سيكون نصيب الأسد للدول المتقدمة ، بينما
يتوزع الفقراء فتات السياح الذين سيتدفقون إلى العالم (النامي) للفرجة على عالم
البؤس والضياع الإنساني (ص106) ، وهنا نقف مع ما تنطوي عليه السياحة
ومفهومها لدى (الخواجات) من إسفاف وانحلال وفجور ورذيلة سينجرّ إليها العالم
(النامي) ، وينطق لسان الحال : (حشف وسوء كيل) ، لكن من المقصود ؟ !

ينتقل التقرير بعد ذلك لتوضيح آثار الاتفاقية على دول العالم مبتدئاً بأوروبا
الغربية ، فالبشائر بالنسبة لدافعي الضرائب هناك كثيرة ، منها : انخفاض أسعار
السلع الزراعية والأعلاف ، مما يفيد شركات التعليب ومعالجة الأغذية وتجار
المواشي (ص108) ، هذا بالإضافة إلى تراجع نسبة الضرائب على المواطنين
بسبب رفع الدعم الحكومي عن قطاع الزراعة ، بينما ترفض دول الاتحاد الأوروبي
تحرير الخدمات التجارية : كالإعلام ، والسينما ، والفيديو حسب ما تنص عليه
الاتفاقية والسبب هو : حجم ذلك القطاع ؛ إذ يشكل نصف صادرات العالم (ص 111) ، ونتساءل عن الحرية والتعددية (والآخر) عند
دول غرب أوروبا ، لأننا قد تعلمنا مما سبق ألا نسألهم عن احترام الاتفاقية التي أبرموها .

ثم إن خسارة دول هذه المنطقة تكمن في قطاع المنسوجات والملابس الذي

ستستحوذ عليه البرتغال وإيطاليا وتركيا ؛ بسبب رخص الأيدي العاملة ، كذلك
ستنافس الشركات غير الأوروبية مثيلاتها في قطاع الكيماويات ، في الوقت الذي
تبدو فيه الصناعات ذات التقنية العالية في طور الأفول ، بسبب قلة الإنفاق
الحكومي على برامج الأبحاث والتطوير اللازمة .
على الطرف الآخر : نجد أن دول أوروبا الشرقية (سابقاً) سترب كثيراً من
تصدير السلع الزراعية للخارج ، وبخاصة : القمح ، والسكر ، واللحوم ، والألبان ،
ومنتجاتهما ، كما أن بعض الدول مثل : بلغاريا ، وبولندا ، ورومانيا ، والمجر ،
وروسيا ، تمتلك ميزة نسبية في مجال الحديد والصلب ، سوف تساهم إضافة إلى
الاستثمارات الأجنبية المتدفقة في تنشيط قطاع الصناعة (ص113) ، ولا نملك إلا
أن نقول : إن الغرب ماضٍ في الاهتمام بمحيطه الجغرافي وامتداده التاريخي
والديني الطبيعيين ، وهناك شواهد أخرى على ذلك : كالأحلاف والمنظمات الأمنية
والاقتصادية التي استحدثت مؤخراً .
يسوق التقرير البشارة إلى شريك أوروبا الأكبر وهو الولايات المتحدة : بأن
الضرائب سوف تنخفض بسبب تخفيض الجمارك على الرغم من قلة الإنتاج وزيادة
الاستهلاك ورفع الدعم الحكومي ؛ لأن الاستيراد سوف يلبي حاجات أبناء (العم)
وبأسعار زهيدة ، بينما ستساهم الجمارك المحلية المخفضة في إنعاش القطاع
الصناعي ، إلا أن أعظم الفوائد بالنسبة لأمريكا سوف تأتي من قطاع
الخدمات (ص 124) ، ولن تكون الحديقة الخلفية لأمريكا بأقل حظّاً
من جارتها العظمى ، إذ إن سياسة دول أمريكا اللاتينية التصديرية
وارتفاع الأسعار العالمية ستنعشان اقتصاديات تلك الدول في
مجال الزراعة والمعادن والمنسوجات والحديد والصلب والجلود والأحذية
والسياحة والسفر (ص131) .

## دول الشرق الأوسط والاتفاقية :

يستعرض المؤلفان بعد ذلك منطقة الشرق الأوسط في ظل الاتفاقية الجديدة
ويؤكدان ما قالاه في بداية التقرير من محدودية الأثر ؛ وذلك بسبب استبعاد

الهيدروكربونات (النفط ومشتقاته) من جولة المحادثات ، كما أن ارتفاع أسعار السلع
الزراعية سيؤدي إلى زيادة سوء حالة المنطقة في الوقت الذي تغنم فيه إسرائيل من
الاتفاقية لكونها مصدراً للخضروات والفواكه ، ولقلة وارداتها الزراعية (ص 137) ،
ثم إن تواضع القاعدة الصناعية للمنطقة ، يقلل من فرص استفادتها في مجال
التصنيع تحت الظروف الجديدة ، بينما ستترك حقوق الملكية الفكرية وإجراءات
الاستثمار آثارها على المنطقة .

وعلى الرغم من عدم جدوى الاتفاقية لدول المنطقة إلا أن هناك سببين
رئيسين للانضمام إليها حسب رأي المؤلفين : الأول : هو النفاذ إلى الأسواق الدولية
في مجال التصدير ، والثاني : هو جذب رؤوس الأموال الأجنبية الخاصة والعامة ،
وهذا يعني استمرار مسلسل الانقياد إلى شروط وأهداف الدول الدائنة ، التي لا
تختلف عن تلك التي ينشدها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، ثم : ما هى
الصادرات التي تحرص المنطقة على استمرار تدفقها ؟ ! إذ هي فقيرة صناعيًّا ،
وعالة زراعيًّا على غيرها ، ومسلوبة (جيولوجيّاً) .

## دول إفريقيا والاتفاقية :

لا تختلف إفريقيا كثيراً عن الشرق الأوسط من جهة استفادتها من الاتفاقية ؛ إذ
هي تحتاج إلى وقت طويل من الإصلاحات الزراعية حتى تجني ثمار حرية التجارة
وارتفاع أسعار السلع الغذائية والزراعية ، لكن الشمال الإفريقي لديه فرصة في
مجال المنسوجات والملابس إذا تمكن من تحسين البنية التحتية للبلاد ، الأمر الذي
يتطلب مبالغ طائلة جدّاً (ص139) ، ولكن التقرير يبشر بزيادة الاستثمار الأجنبي
المباشر على أي حال ، مما يعني زيادة في إغراق المنطقة وإرهاق الشعوب ورهن
أجيال المستقبل بالديون الخارجية .

## التحديات التي تواجه الاتفاقية :

يحدثنا الفصل الأخير عن هيكل المنظمة الوليدة ، ثم عن التحديات التي سوف

تواجهها ، وعلى رأسها الحاجة إلى وضع قواعد للاستثمار الأجنبي على الرغم من
استحسان الدول النامية له وركضها خلفه ، وكذلك : مكافحة الاحتكار العالمي ،
وعلاقة التجارة والبيئة ، وحقوق الإنسان والعمال (عارضتها الدول النامية ضمن
جوله المناقشات سنة 1986م رغبة في استمرار زيادة الأرباح في ظل غياب مراقبة
وشروط النقابات) والتكتلات الإقليمية وأثرها على حرية التجارة (ص143-152) .

بهذا انتهى التقرير .. وتبرز الأسئلة الملحة فيما يتعلق بالاتتفاقية وأطرافها
المتفاوتين في القوة السياسية والاقتصادية .

فلماذا تخضع دول العالم بأسرها لقوانين لا يحترمها مشرعوها ؟ ولماذا تختار
الدول المتقدمة الطرق القانونية لفرض رغباتها على العالم النامي أو فيما بينها ؟
ألأنها أكثر حضارية من وسائل القوارب المسلحة التي اتبعها المستعمرون القدامى ؟
أم لإيجاد مبرر قانوني يقضي بمعاقبة المخالفين ، والذين يتوقع زيادتهم مستقبلاً في
ظل بروز أجيال ترفض الخضوع والتبعية وتنشد الاستقلالية ؟ .

لعل الجواب الذي توصلتُ إليه يشير إلى قيام أمم متحدة اقتصادية لتحل محل
نظيرتها العسكرية في مرحلة الوفاق الدولي الجديد ، وندعو ونرجو ! ! ألا تكون
ظالمة كسابقتها ، إلا أن المتعارف عليه هو أن الأفعى تغير جلدها ويبقى السم في
أنيابها .

---

**(*) فيليب إيفانز وجيمز والش (دليل وحدة أبحاث الإيكونومست إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) : (جات) الجديدة : منظمة التجارة العالمية ، ترجمة / حمد الخريف و فواز الدخيل ، ط1 ، الرياض ، 1415هـ .**

المسلمون والعالم

## اتفاقية التجارة العالمية GATT

## قراءة في تقرير .. وأسئلة ملحة ...

**بقلم : ياسر قارئ**

إدراكاً منهم لصعوبة المواجهة العسكرية مع المسلمين في ظل راية الجهاد ، عدل أعداء الإسلام إلى وسائل أشد فتكاً وأقل إثارة لقمع المارد الإسلامي ودحضه ورده إلى موقعه الذي يليق به كما يتخيلون ؛ وأنشطة المنظمات الدولية التي ترعى تلك الوسائل والأساليب مجهولة إلى حد كبير لدى كثير من المثقفين داخل حدود أوطانهم وخارجها ، ومتابعة ذلك تبدي لك حجم الفراغ والهوة التي بيننا وبين المخططات العالمية للانقضاض علينا من كل حدب وصوب ؛ وما ذاك إلا بسبب عدم إلمام الكثيرين أو عدم اكثراثهم بتلك المؤسسات ؛ تقليلاً لشأنها أو لندرة المصادر التي تحكي واقعها في ظل التعتيم الإعلامي عن سياسات القوم والانصراف إلى البرامج الرياضية والمجلات النسائية الرحبة ، من أجل ذلك كله أسوق إليك أخي القارئ الكريم ملخصاً موجزاً لما احتواه تقرير غربي [*] عن الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة ، التي يرمز لها اختصاراً بـ ، التي تمخضت عنها (منظمة التجارة العالمية) .

يحتوي التقرير على ثلاثة وعشرين فصلاً ، يتحدث الأول منها عن نشأة الاتفاقية والجولة الأخيرة المعروفة باسم (أوراجواي) (وهي الدولة التي انبثقت منها الاتفاقية عام 1986م) ، ثم تغطي الفصول من الثالث وحتى الحادي عشر الاتفاقات المتعلقة بالزراعة ، والمنسوجات ، والملابس ، والخدمات ، والاستثمارات ، والملكية الفردية ، وتسوية المنازعات ، والدعم ، والرسوم ، والضمانات ، وسياسة الإغراق ، بينما يركز النصف الثاني من التقرير على آثار هذه الاتفاقيات على كل القطاعات السابقة .. (من 12- 15) ، ثم على دول أوروبا الغربية والاتحاد

السوفييتي (السابق) ومنطقة آسيا الباسفيكي ، وأمريكا الشمالية واللاتينية ، فالشرق
الأوسط وإفريقيا (16 22) ، أما الفصل الأخير فيلقي الضوء على المنظمة العالمية
ومستقبلها .

يصطدم القارئ من العالم الثالث من الصفحة الأولى بحقيقة هذه الاتفاقية
وأثرها ؛ إذ يتعجب المؤلفان من تغير توجهات الدول النامية وانضمامها إلى
المفاوضات في الوقت الذي كانت تمر فيه الجولة بانتكاسات ومصاعب جمة ، على
الرغم من الخسائر التي ستتعرض لها تلك الدول (وهي المستوردة للغذاء) على
المدى القصير ، هذا بالإضافة إلى دور الاتفاقية في انتقاص جانب السيادة على
السياسة الداخلية للدولة ، على الرغم من عبادة تلك الدول وتقديسها للاستقلالية
السياسية ! ! (ص13) ، وليس هذا فحسب ، بل ستكون المنظمة الشريك الثالث
لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في وضع السياسات العالمية ، كما عبر عن ذلك
(بيتر سذر لاند) مدير عام الاتفاقية (ص4) ، فضلاً عن اختلاف الخبراء حول
الجدوى الاقتصادية للاتفاقية على مدى العقد القادم ؛ بسبب زيادة نمو التكتلات
الاقتصادية الإقليمية القوية ؛ الأمر الذي يؤذن باندلاع الحروب التجارية بين الدول
(ص6) .

أما أهم مكاسب هذه الجولة الأخيرة فهي : دخول مجالات الزراعة
والمنسوجات ضمنها ، وتطبيق الجزاءات ضد الدول المنتهكة لأحكام الاتفاقية ، وفي
هذا الصدد : فقد أعلنت أمريكا عزمها على استغلال حق المطالبة بالتعويض أو
فرض العقوبات التجارية (في حالة فشل الوصول إلى حل مع المخالفين) إلى أقصى
أبعاده (ص2) ، فإذا كان هذا توجه الدولة التي تقود العالم ، فماذا عسى التابعين أن
يفعلوا ؟ !

بدأت جولة أوراجواي سنة 1986م ، وهي الثامنة ، إذ عقدت الجولة الأولى

في جنيف عام 1947م بعد نهاية الحرب الكونية الثانية بمشاركة ثلاث وعشرين
دولة ، وبمرور الوقت ازداد عدد المشاركين ، وبالتالي : طول فترة انعقاد الجولة
بسبب تشعب المواضيع والخلافات حتى اختتمت في سنة 1963م وقد وصفها (سذر
لاند) بأنها لحظة حاسمة في التاريخ الحديث (ص1) ، فلماذا ؟
لقد استنتج الساسة الأمريكيون : أن انهيار التجارة الدولية ، وزيادة عدد
التكتلات التجارية ، بالإضافة إلى التصعيد الجمركي الذي عمق الكساد وتسبب في
قطبية التجارة الدولية : هما سببا قيام الحربين العالميتين (ص9) ؛ لذلك : فإن قيام
نظام دولي للتجارة سوف يقلل من فرص الحرب في الوقت الذي تملي فيه أمريكا
شروطها بحكم أنها المنتصرة في الحربين والدولة ذات الوزن الاقتصادي الأثقل في
العالم ، بمعنى آخر : فإن نظام التجارة المطلوب والمتوقع هو الذي يحقق مصالح
الدول الكبرى فقط !

## ثلاث نقاط مهمة :

سوف أضرب صفحاً عن الفصول التي تتحدث عن الاتفاقيات ذاتها ( 311) ،
وذلك لكونها معلومات وإحصاءات علمية صرفة ، وكذلك لإبقاء الموضوع مختصراً
قدر الإمكان ، خاصة وأن الهدف المنشود هو : بيان أثر تلك الاتفاقيات التي هي
فرع عن مضمونها ، إلا أن هناك ثلاث نقاط ينبغي التوقف عندها مليّاً :
الأولى : فيما يتعلق بالزراعة ، يقول التقرير : إنه على الرغم من الصراع
بين أوروبا وأمريكا واليابان واستراليا ونيوزيلندا (أين الدول النامية ؟ ) ، إلا أن
الحل النهائي يمثل في تحرير القطاع الزراعي في ثلاثة مجالات ، هي : النفاذ إلى
الأسواق ، والدعم المحلي ، ومنافسة الصادرات ، كما تتضمن النتائج طلباً بمعالجة
خاصة لوضع الدول النامية (ص21) .
إن الأمر في غاية الوضوح : فالدول المتنفذة تفرض سياستها ، وما على
المعدومين إلا التقدم بطلب الاسترحام ، وإلا فالأسواق يجب أن تفتح ، والدعم يجب

أن يرفع ، وإلا ستبادر أمريكا إلى استخدام حقها في الرد المناسب على المخالفين
لبنود الاتفاقية كما ذكرنا . فهل ستكون هناك زراعة محلية مستقبلاً ؟ وما هو حجم
الخطر الذي يشكله الاعتماد على الواردات الزراعية ، وبالذات في مجال استقلالية
القرار والدار ؟ .

النقطة الثانية : وهي تكشف مدى مأساوية الواقع الذي تعيشه الدول النامية ،
إذ تصف الأمم المتحدة في تقريرها لعام 1975م : أن براءات الاختراع تأتي من
خمس دول متقدمة فقط ، وهذا يعني أن حماية حقوق الملكية الفكرية سوف تساهم
في زيادة عجز الميزان التجاري بين الدول المتقدمة والنامية ، وعلى الرغم من
مقاومة أمريكا و أوروبا لهذا القرار المجحف ، إلا أنهما خضعتا لضغوط شركات
صناعات الأدوية والملابس من أجل مراقبة وحماية تلك الحقوق (ص45) ، وهذا
يعني إبقاء العلاج والكساء بعيداً عن متناول أيدي المحتاجين في العالم النامي ، فبعد
الزراعة جاء دور الطب ، لكن صبراً .. أليس هناك منظمات غربية خيرية تسد هذا
الفراغ ؟ الجواب نعم ، لكن .. ما الثمن الذي تطلبه في المقابل ؟

النقطة الثالثة : وتظهر حقيقة تلاعب الدول الكبرى بالاقتصاد العالمي وقوانينه
بصورة لا لبس فيها ، فالطائرات مثلا تكلف كثيراً في صناعتها ، وبالتالي : هي
صناعة توصف بأنها احتكارية ، لكن أوروبا ممثله ببعض دولها أسست شركة
(إيرباص) ودعمتها ماليّاً لتتحدى بها الهيمنة الأمريكية على الطيران والفضاء ،
خاصة وأن أمريكا تدعم الشركات المصنعة لديها من خلال الإعانات العسكرية غير
المباشرة ، وكلاّ من أوروبا وأمريكا خالفا نظام التجارة العالمي ، ولم يتعرضا لأي
عقوبات (ص74) .

ثمة أسئلة كثيرة تطرح نفسها هنا ، لماذا يتنافسون وهم على مذهب اقتصادي
واحد وملة دينية واحدة ؟ ولماذا لا يعاقبون على خرقهم للقانون الذي فرضوه على

العالم بأسره ؟ ومتى تكون للدول النامية سياسة مستقلة ومُجْدية كهذه ؟ !

**من آثار الاتفاقية الخطرة :**

يخوض التقرير بعد ذلك في آثار الاتفاقية على الزراعة والصناعة والحواجز
غير الجمركية وقطاع الخدمات ، فأوروبا مثلاً تساهم في تصدير 47% من إجمالي
الصادرات الزراعية العالمية ، ولكن 90% من تلك الصادرات لا تتعدى أوروبا
الغربية ! (ص77) ، أليس هذا هو الأمن والتكامل الغذائي الذي ترعاه أوروبا
؟ ثم : إن دعم الدول الصناعية لزارعيها سيقلل من حصة الدول النامية
من هذه التجارة ، في الوقت الذي سترتفع فيه أسعار الصادرات الزراعية الأوروبية ، وتتفق
الدراسات العلمية على حتمية هذا الارتفاع في الأسعار ، وبالتالي : فإن الخاسر
الأكبر هو الدول الإفريقية والآسيوية ، بينما ستمتلئ جيوب الفلاحين في أمريكا
الشمالية والجنوبية و أوروبا (ص81 - 82) .

أما في مجال الصناعة فإن استفادة الدولة النامية وبخاصة في مجال الملابس
والمنسوجات والأغذية والمواد الخام طفيفة جدًّا ، بيد أنها ستحدث انتعاشاً في
صناعة الحديد والصلب والمعدات الصناعية والكيميائية والسيارات في أوروبا
وأمريكا (ص92) ، وهذا يذكر بالمثل القائل (ما تجمعه الذرة في سنة يأخذه الجمل
في خُفّه) !

كما يشير تقرير الأمم المتحدة سنة 1988م إلى أن التأثير الإجمالي للحواجز
غير الجمركية على الواردات من الدول النامية أكبر منه على واردات الدول
المتقدمة التي تستخدم هذا الأسلوب لحماية قطاعات الأغذية والحديد والمنسوجات
والسيارات في بلادها (ص94) ، والأعجب من هذا الانحياز الغربي أو العداء
المستحكم أو التعالي الأوروبي العرقي هو : زيادة نسبة الحواجز غير الجمركية
على القطاع الذي يتوقع الفقراء الاستفادة منه ، ألا وهو قطاع الملابس : وذلك
بسبب وفرة ورخص الأيدي العاملة ، وتوفر المواد الخام وقلة تكلفتها (ص95) ،

بعبارة أشد وضوحاً : إن الدول المتقدمة عاقدة العزم على إبقاء الدول النامية في
حالة التبعية المطلقة إلى أجلٍ غير معلوم ، طالما استمرت الأخيرة في الاستماع إلى
نصائح الخبراء الغربيين وإقصاء الناصحين المخلصين ، ويؤيد التقرير هذه النظرة
القاتمة بتأكيده على استفادة أوروبا في المجالات الصناعية عموماً ، مما يعني
استمرار ارتفاع مستوى المعيشة في الغرب وانخفاضه في الشرق (النامي) ،
وبالتالي تعميق الفجوة الحضارية أكثر فأكثر ! وليست مجالات الخدمات
والاتصالات والمدارس والمصارف والمستشفيات والمواصلات بأفضل حال من
سابقيها فيما يتعلق بالعالم الثالث ؛ إذ سيكون نصيب الأسد للدول المتقدمة ، بينما
يتوزع الفقراء فتات السياح الذين سيتدفقون إلى العالم (النامي) للفرجة على عالم
البؤس والضياع الإنساني (ص106) ، وهنا نقف مع ما تنطوي عليه السياحة
ومفهومها لدى (الخواجات) من إسفاف وانحلال وفجور ورذيلة سينجرّ إليها العالم
(النامي) ، وينطق لسان الحال : (حشف وسوء كيل) ، لكن من المقصود ؟ !

ينتقل التقرير بعد ذلك لتوضيح آثار الاتفاقية على دول العالم مبتدئاً بأوروبا
الغربية ، فالبشائر بالنسبة لدافعي الضرائب هناك كثيرة ، منها : انخفاض أسعار
السلع الزراعية والأعلاف ، مما يفيد شركات التعليب ومعالجة الأغذية وتجار
المواشي (ص108) ، هذا بالإضافة إلى تراجع نسبة الضرائب على المواطنين
بسبب رفع الدعم الحكومي عن قطاع الزراعة ، بينما ترفض دول الاتحاد الأوروبي
تحرير الخدمات التجارية : كالإعلام ، والسينما ، والفيديو حسب ما تنص عليه
الاتفاقية والسبب هو : حجم ذلك القطاع ؛ إذ يشكل نصف صادرات العالم (ص 111) ، ونتساءل عن الحرية والتعددية (والآخر) عند
دول غرب أوروبا ، لأننا قد تعلمنا مما سبق ألا نسألهم عن احترام الاتفاقية التي أبرموها .

ثم إن خسارة دول هذه المنطقة تكمن في قطاع المنسوجات والملابس الذي

ستستحوذ عليه البرتغال وإيطاليا وتركيا ؛ بسبب رخص الأيدي العاملة ، كذلك
ستنافس الشركات غير الأوروبية مثيلاتها في قطاع الكيماويات ، في الوقت الذي
تبدو فيه الصناعات ذات التقنية العالية في طور الأفول ، بسبب قلة الإنفاق
الحكومي على برامج الأبحاث والتطوير اللازمة .

على الطرف الآخر : نجد أن دول أوروبا الشرقية (سابقاً) ستربح كثيراً من
تصدير السلع الزراعية للخارج ، وبخاصة : القمح ، والسكر ، واللحوم ، والألبان ،
ومنتجاتهما ، كما أن بعض الدول مثل : بلغاريا ، وبولندا ، ورومانيا ، والمجر ،
وروسيا ، تمتلك ميزة نسبية في مجال الحديد والصلب ، سوف تساهم إضافة إلى
الاستثمارات الأجنبية المتدفقة في تنشيط قطاع الصناعة (ص113) ، ولا نملك إلا
أن نقول : إن الغرب ماضٍ في الاهتمام بمحيطه الجغرافي وامتداده التاريخي
والديني الطبيعيين ، وهناك شواهد أخرى على ذلك : كالأحلاف والمنظمات الأمنية
والاقتصادية التي استحدثت مؤخراً .

يسوق التقرير البشارة إلى شريك أوروبا الأكبر وهو الولايات المتحدة : بأن
الضرائب سوف تنخفض بسبب تخفيض الجمارك على الرغم من قلة الإنتاج وزيادة
الاستهلاك ورفع الدعم الحكومي ؛ لأن الاستيراد سوف يلبي حاجات أبناء (العم)
وبأسعار زهيدة ، بينما ستساهم الجمارك المحلية المخفضة في إنعاش القطاع
الصناعي ، إلا أن أعظم الفوائد بالنسبة لأمريكا سوف تأتي من قطاع
الخدمات (ص 124) ، ولن تكون الحديقة الخلفية لأمريكا بأقل حظّاً
من جارتها العظمى ، إذ إن سياسة دول أمريكا اللاتينية التصديرية
وارتفاع الأسعار العالمية ستنعشان اقتصاديات تلك الدول في
مجال الزراعة والمعادن والمنسوجات والحديد والصلب والجلود والأحذية
والسياحة والسفر (ص131) .

## دول الشرق الأوسط والاتفاقية :

يستعرض المؤلفان بعد ذلك منطقة الشرق الأوسط في ظل الاتفاقية الجديدة
ويؤكدان ما قالاه في بداية التقرير من محدودية الأثر ؛ وذلك بسبب استبعاد

الهيدروكربونات (النفط ومشتقاته) من جولة المحادثات ، كما أن ارتفاع أسعار السلع
الزراعية سيؤدي إلى زيادة سوء حالة المنطقة في الوقت الذي تغنم فيه إسرائيل من
الاتفاقية لكونها مصدراً للخضروات والفواكه ، ولقلة وارداتها الزراعية (ص 137) ،
ثم إن تواضع القاعدة الصناعية للمنطقة ، يقلل من فرص استفادتها في مجال
التصنيع تحت الظروف الجديدة ، بينما ستترك حقوق الملكية الفكرية وإجراءات
الاستثمار آثارها على المنطقة .
وعلى الرغم من عدم جدوى الاتفاقية لدول المنطقة إلا أن هناك سببين
رئيسين للانضمام إليها حسب رأي المؤلفين : الأول : هو النفاذ إلى الأسواق الدولية
في مجال التصدير ، والثاني : هو جذب رؤوس الأموال الأجنبية الخاصة والعامة ،
وهذا يعني استمرار مسلسل الانقياد إلى شروط وأهداف الدول الدائنة ، التي لا
تختلف عن تلك التي ينشدها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، ثم : ما هي
الصادرات التي تحرص المنطقة على استمرار تدفقها ؟ ! إذ هي فقيرة صناعيًّا ،
وعالة زراعيًّا على غيرها ، ومسلوبة (جيولوجيّاً) .

## دول إفريقيا والاتفاقية :

لا تختلف إفريقيا كثيراً عن الشرق الأوسط من جهة استفادتها من الاتفاقية ؛ إذ
هي تحتاج إلى وقت طويل من الإصلاحات الزراعية حتى تجني ثمار حرية التجارة
وارتفاع أسعار السلع الغذائية والزراعية ، لكن الشمال الإفريقي لديه فرصة في
مجال المنسوجات والملابس إذا تمكن من تحسين البنية التحتية للبلاد ، الأمر الذي
يتطلب مبالغ طائلة جدّاً (ص139) ، ولكن التقرير يبشر بزيادة الاستثمار الأجنبي
المباشر على أي حال ، مما يعني زيادة في إغراق المنطقة وإرهاق الشعوب ورهن
أجيال المستقبل بالديون الخارجية .

## التحديات التي تواجه الاتفاقية :

يحدثنا الفصل الأخير عن هيكل المنظمة الوليدة ، ثم عن التحديات التي سوف

تواجهها ، وعلى رأسها الحاجة إلى وضع قواعد للاستثمار الأجنبي على الرغم من
استحسان الدول النامية له وركضها خلفه ، وكذلك : مكافحة الاحتكار العالمي ،
وعلاقة التجارة والبيئة ، وحقوق الإنسان والعمال (عارضتها الدول النامية ضمن
جوله المناقشات سنة 1986م رغبة في استمرار زيادة الأرباح في ظل غياب مراقبة
وشروط النقابات) والتكتلات الإقليمية وأثرها على حرية التجارة (ص143-152) .

بهذا انتهى التقرير .. وتبرز الأسئلة الملحة فيما يتعلق بالاتتفاقية وأطرافها
المتفاوتين في القوة السياسية والاقتصادية .

فلماذا تخضع دول العالم بأسرها لقوانين لا يحترمها مشرعوها ؟ ولماذا تختار
الدول المتقدمة الطرق القانونية لفرض رغباتها على العالم النامي أو فيما بينها ؟
ألأنها أكثر حضارية من وسائل القوارب المسلحة التي اتبعها المستعمرون القدامى ؟
أم لإيجاد مبرر قانوني يقضي بمعاقبة المخالفين ، والذين يتوقع زيادتهم مستقبلاً في
ظل بروز أجيال ترفض الخضوع والتبعية وتنشد الاستقلالية ؟ .

لعل الجواب الذي توصلتُ إليه يشير إلى قيام أمم متحدة اقتصادية لتحل محل
نظيرتها العسكرية في مرحلة الوفاق الدولي الجديد ، وندعو ونرجو ! ! ألا تكون
ظالمة كسابقتها ، إلا أن المتعارف عليه هو أن الأفعى تغير جلدها ويبقى السم في
أنيابها .

---

**(*) فيليب إيفانز وجيمز والش (دليل وحدة أبحاث الإيكونومست إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) : (جات) الجديدة : منظمة التجارة العالمية ، ترجمة / حمد الخريف و فواز الدخيل ، ط1 ، الرياض ، 1415هـ .**

المسلمون والعالم

## مجاهدو مورو .. حصاد مرحلة

**بقلم : التحرير[*]**

**تمهيد :**

يسود التوتر الشديد منطقة مورو الإسلامية في هذه الأيام ، ويتوقع سكانها
المسلمون والنصارى وغيرهم أن تندلع نيران الحرب المدمرة في أي لحظة ، ذلك
أن حكومة (راموس) حشدت قواتها المسلحة البرية والبحرية والجوية في هذه
المنطقة ، إذ إن سبعين في المئة من جنود القوات المسلحة الفلبينية قد تم نقلهم مع
أجهزتهم الحربية إلى منطقة (مينداناو) .

ومنطقة (ميندناو) هي المنطقة التي يطلق عليها المسلمون : اسم (مورو) ،
وما زالت الحكومة تنقل إليها القوات معللة ذلك بسببين ، هما :

أولاً : حراسة المشاريع الحكومية في المنطقة ، ومنها : اكتشاف منابع النفط ،
وإنشاء الطرق ، واستصلاح الأراضي الزراعية .

ثانياً : مواجهة الهجوم الموسع المتوقع من قبل (جبهة تحرير مورو الإسلامية) علماً بأن الحكومة تزعم أن أجهزة استخباراتها استخلصت معلومات أكيدة تفيد أن
مجاهدي (جبهة تحرير مورو الإسلامية) سيقومون بهجوم شامل وضربات مفاجئة ،
والواقع أن حكومة الفلبين الصليبية اتخذت ادعاءها وزعمها المذكورين مبرراً لحشد
قواتها في المناطق الإسلامية ؛ فبالنسبة إلى مشاريعها المذكورة : فهى مشاريع عادية
لا تحتاج إلى أكثر من مئة ألف جندي لحراستها ، وأما زعمها بأن مجاهدي (جبهة
تحرير مورو الإسلامية) سيقومون بالهجوم الشامل على الفلبين فلا أساس له أيضاً ،
ولكنها اصطنعت ذلك لتبرير تلك الحشود الضخمة في المنطقة ، لمحاولة تحقيق
نواياها السيئة من وراء ذلك .

والسر وراء حشد القوات معروف ، وهو : أن هذه الدولة الصليبية (التي
أقامها الاستعمار في منطقة الشرق الأقصى) تحاول أن تحقق نواياها القديمة ، وهي
القضاء على المسلمين في المنطقة ؛ لأن الصليبيين لا يستطيعون أن يتعايشوا مع

الموحدين الحقيقيين .
الأزمة الاقتصادية المتزايدة : بينما تنشر الحكومة الصليبية قواتها المسلحة في
المناطق الإسلامية ، تعاني هذه المناطق أزمة اقتصادية شديدة ، وقد ارتفع ثمن كل
شيء ، ومن ذلك : الأرز الذي يعتبر غذاءً أساساً في المنطقة ، وبطبيعة الحال فإن
الناس يكرهون ارتفاع الأسعار ، ولكن هناك شيء آخر أخطر وأشد وأبغض من
ارتفاع الأسعار ، وهو : ارتفاع نسبة الجرائم وانتشارها ، وقد تصاعدت الجرائم مع
حشود قوات الفلبين المسلحة في المنطقة ، ففي كل يوم يقتل أو يغتال
عدد من الناس ، وخاصة في محافظتي (ماجينداناو) و (كوتباتو) الشمالية ، ولا يكاد يمر أسبوع إلا
ويكون قد خُطف أحد الأغنياء أو الموسرين ، وقد انتشرت الفواحش وشرب الخمر
ولعب القمار وغير ذلك ، وتدهور الاقتصاد ، وانتشرت السرقة والنهب وجميع
أنواع الفساد والإفساد ، بالإضافة إلى ما ذُكر : فإن الجواسيس و رجال المخابرات
الذين يقومون بأعمال تخريبية خفية وينشرون الشائعات ، ويوقعون العداوة بين
الناس عن طريق الدسائس وإشعال الفتن ؛ مما أدى إلى انتشار الفوضى .
المناطق المحررة سالمة : أما المناطق المحررة التي يسيطر عليها
المجاهدون ، فلم تتأثر أبداً بسموم هؤلاء ، ولم تتعرض للفساد ، علماً بأن النظام المتبع فيها
نظام إسلامي ، ولا يوجد فيها آثار الانحراف ، ولا تمارس فيها المحرمات : كشرب
الخمر ، ولعب القمار ، وغيرهما من الأمور التي لا يبيحها الشرع .
الوضع الدعوي : رغم الظروف الصعبة التي تحيط بالمنطقة والحياة القاسية
التي يعيشها دعاتنا ، فإن الدعوة إلى دين الله الحق تشق طريقها ، فيحسن إسلام
المسلمين ، ويزداد عدد المسلمين الجدد يوماً بعد يوم ؛ حيث يعتنق الإسلام كثير من
النصارى والوثنيين بحب ورضا ، غير أننا لا نستطيع أن نقدم إحصاءً في هذا
التقرير العاجل ، ولكننا نوضح هذه الأدلة :

**أدلة على تحسن إسلام المسلمين السابقين :**

1- تزدحم المساجد بالمصلين ، وخاصة في القرى التي يسيطر عليها
المجاهدون .
2- كثرة التجمعات الكبيرة للاستماع إلى المحاضرات الإسلامية ، ومناقشة
المسائل المتعلقة بتعاليم الدين الحنيف .
3- وجود آلاف مؤلفة من المسلمين في قواعد (جبهة تحرير مورو الإسلامية)
ومراكزها ؛ للاشتراك في الأنشطة الإسلامية فيها .
4- انتشار الحجاب في الجامعات العلمانية ، والمؤسسات الرسمية ، وفي
الأسواق والشوارع .
5- تمسك المسلمين بعقيدة السلف الصالح ، وخاصة المجاهدين منهم التابعين
لجبهة تحرير مورو الإسلامية ، وتركهم البدع والخرافات .
6- نبذ العادات والتقاليد المخالفة للإسلام .
7- نمو عقيدة الولاء والبراء ، وخاصة لدى المجاهدين .
8- نمو الوحدة والتضامن ، و التعاون على البر والتقوى .

**من ثمرات الجهود الدعوية للجبهة :**

1- توافد عدد كبير من النصارى والوثنيين على المساجد الجديدة لإعلان
إسلامهم ، مثل المسجد الذي بني في محافظة (بوكيد) .
2- تسابق زعماء القبائل على تعيين خريجي الدورات الشرعية ، لتعليم
المسلمين أمور دينهم ، وذلك في محافظة (بوكيد) التي يقطنها سكان معظمهم وثنيون .
3- إقامة مسجد ومدرسة في محافظة (أجوسان) على نفقة أهل الخير .
وقد فوجئ المدرسون المعينون في المدرسة : أن معظم التلاميذ الذين التحقوا
بالمدرسة من أولاد النصارى و الوثنيين ، الذين قالوا : إنهم يريدون أن يعتنقوا
الإسلام .
4- وقد أسلم عدد كبير من القبائل الوثنية في محافظة (سرانجاني) ، وفي
محافظة (كوتباتو) الجنوبية ، ومحافظتي (داباو) الجنوبية والشمالية ، ومحافظة
(أجوسان) ومحافظة (سوريجا) و محافظة (زامبرانجا) الشمالية ، وقد حضر عدد
كبير منهم إلى قاعدة أبي بكر الصديق حيث مقر القيادة العامة للدعوة والجهاد في

سبيل الله لحضور دورات تدريبية قصيرة هناك تعقد للمسلمين الجدد .
5- في هذه الأيام يتوافد على قاعدة أبي بكر الصديق عدد من المسلمين الجدد
الحاصلين على الشهادات الجامعية ، لأداء الخدمة في التمريض ، وفي الزراعة ،
وغيرهما ، ولتلقي الدروس الإسلامية .
وما ذكر أمثلة فقط للإنجازات والأنشطة الدعوية التي تشرف عليها (جبهة
تحرير مورو الإسلامية) .

## الوضع الجهادي :

كان مجاهدونا منذ عام 1970م يلجؤون إلى ما يسمى حرب العصابات ، أو
حرب الكر والفر ؛ بسبب قلة الإمكانات الحربية ، وليست لديهم أماكن ثابتة ، فكانوا
يتنقلون في المناطق الجبلية الغابية ، وظلوا على هذا الحال قرابة عشرين عاماً .
وقد بدأ الوضع يتغير منذ عام 1990م إلى وقتنا الحاضر ، وشهدت هذه الفترة
تصاعداً كبيراً على صعيد المواجهات المسلحة بين مجاهدينا والقوات المسلحة
الفلبينية ، وكانت معظم المواجهات لصالح المجاهدين (والحمد لله) .
وكانت بداية المواجهات التي انتصر فيها مجاهدونا حول قاعدة أبي بكر
الصديق في عام 1990م ، واستمرت المواجهات الحربية المتقطعة إلى عام
1993م ، وفي عام 1994م كانت المواجهات الحربية في محافظة
(كوتباتو) الشمالية ، في بلدية كل من (كارمين) و (أليوسان) و (بانيسيلان) .
واستولى مجاهدونا على ثلاث من القرى التي يستوطنها النصارى ،
وفي عام 1995م حشدت الحكومة سبعين في المئة من جنود قواتها
المسلحة في المناطق الإسلامية ، وحاول الجنود الصليبيون أن يحاصروا
قاعدة أبي بكر الصديق حيث المقر الرئيس للقيادة العامة لجبهة تحرير
مورو الإسلامية كما حاولوا أيضاً أن يحاصروا قواعدنا العسكرية
الأخرى ، وتقدم مجاهدونا لملاقاة جنود العدو الذين كانوا على أهبة
الهجوم الموسع ، وعندما شعر العدو أن مجاهدينا قد أتموا سيطرتهم على
جميع الأماكن الاستراتيجية في الميدان ، وأن جنوده محاصرون : بادر
رئيس أركان القوات المسلحة الفلبينية الجنرال (أرتورو إينريلي)
بإصدار أوامر إلى قواته المسلحة بالانسحاب ، وانسحب جنوده فعلاً ،
وأما مجاهدونا فبقوا في مواقعهم ولا يزالون ثابتين فيها حتى الآن ، وتقدم بعضهم قليلاً .

## آثار انسحاب الجنود الصليبيين :

كان لانسحاب الجنود الحكوميين آثار طيبة في وضع الجهاد بخاصة ، وفي
وضع المسلمين بعامة ، وأهمها ما يلي :
1- رفع معنوية المسلمين المستضعفين الذين اعتادوا الهروب أمام جنود
الكفار ، وهذه هي المرة الأولى في هذه البلاد منذ خمس وعشرين سنة أن ينسحب
عشرات الآلاف من جنود الكفار أمام المجاهدين ، وكان المألوف أن يهرب الناس
أمام هؤلاء الجنود .
2- ارتفاع الأمل في النصر ، وقد كان كثير من المسلمين المستضعفين يرون
أن النصر على جنود الحكومة المزودين بالأسلحة المتطورة أمر صعب ، وبعيد
الوقوع ، ولكن عندما رأوا أن عشرات الآلاف من الجنود الصليبيين مع دباباتهم
ومصفحاتهم ومدافعهم الثقيلة ينسحبون أمام المجاهدين : تيقنوا بأن النصر ممكن ،
وليس بعيداً .
3- أن النصارى المستوطنين في بلاد المسلمين فقدوا ثقتهم بجنود الحكومة ،
ويخشون الآن ألاّ يستطيع هؤلاء الجنود حمايتهم .
4- زعماء النصارى يتصلون بقادة الجهاد للتفاهم معهم ، ويطلبون الأمان
منهم .
5-تغيرت معاملة النصارى مع المسلمين إلى الأحسن ، فكان هؤلاء ينظرون
إلى المسلمين نظرة احتقار ، والآن أصبحوا يحترمونهم .
6- تغيرت معاملة الجنود ، ورجال الشرطة مع المسلمين في المدن إلى الأحسن ، فأصبحوا الآن ينظرون إلى المسلمين نظرة
احترام وإعزاز .
7- توقفت الأعمال الوحشية التي يقوم بها النصارى المسلحون أو الميلشيات
النصرانية ضد المسلمين .
وقد تبين عندنا الآن أن القتال الذي يكرهه كثير من المسلمين هو خير لهم ، وأن المفاوضات السلمية التي يميل إليها كثير منهم هو شر
لهم .

## المرحلة الحاسمة :

لقد وصل جهادنا اليوم إلى مرحلة حاسمة ، فقد كان مجاهدونا كما ذكر
يلجؤون إلى حرب العصابات ، لقلة إمكاناتهم ، ولأنه لم تكن لهم قواعد
ومواقع ثابتة .

## قواعدنا ومعسكراتنا ثابتة :

ولكن لدينا الآن بحمد الله قواعد ومعسكرات عسكرية ثابتة وبعضها معروف
لدى العدو ، ومجاهدونا يقفون وجهاً لوجه مع جنود العدو في حدود البلديات والقرى
التي نسيطر عليها .

وقد حاول جنود العدو أن يستولوا على قواعدنا العسكرية و معسكراتنا منذ
أربع سنوات ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع (ولله الحمد والمنة) ولا يزالون
يحاولون حتى الآن أن يستولوا على مناطقنا المحررة ، وأن يحسموا المواجهة
المسلحة لصالحهم ، ولكن بعون الله وفضله يتقدم مجاهدونا شيئاً فشيئاً إلى الأمام
لتحرير مزيد من أرضنا المحتلة .

## حرب العدو النفسية :

بعد المساجلة العسكرية الملحوظة في هذه الفترة لجأ العدو إلى الحرب النفسية
والدعائية ، ونشر الشائعات ، وإيقاع العداوة بين الناس ، وإلى نشر الفساد والإفساد
من إشاعة الخمور وأماكن اللهو .. لأن العدو ما زال يسيطر على جميع وسائل
الإعلام ، وتتعاون معه قصداً ومن غير قصد بعض وسائل الإعلام الإسلامية .

## دور علماء مورو المسلمين :

أصدر علماء مورو بياناً منذ ثلاثة أسابيع تقريباً ، أوضحوا في مقدمته : أن
مسلمي مورو لم ينهزموا أمام الاستعمار في جهادهم الذي استمر أربعة قرون ،
ولكنهم فقدوا وطنهم بسبب المؤامرات ضدهم والمفاوضات السلمية التي أدت إلى
إلحاق بلادهم بدولة الفلبين الصليبية ، وصرحوا بأنه لا حل لمشكلة مسلمي مورو
إلا بإعادة استقلال بلادهم استقلالاً تامّاً مع سيادة الدستور الإسلامي من خلال حكومة
إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ، وإذا لم يتحقق الهدف المذكور ، فسوف
يواصل مسلمو مورو جهادهم جيلاً بعد جيل إلى أن يتم استقلال بلادهم مع قيام حكم
الله فيها .

وقد هز البيان الفلبين كلها ، وكان دويه أقوى من دوي القنابل ، وقد عقد

(راموس) اجتماعاً طارئاً بخصوص البيان المذكور .
أما الحكم الذاتي فلن يحل المشكلة مهما كان نوعه ، لأن المسلمين لن يطيقوا
استمرار الحياة في ظل دستور الفلبين وقوانينها الوضعية الجائرة ، ويجب على
المسلمين أن يقيموا حكم الله و شرعه ، ولن يتم ذلك في ظل الدستور الفلبيني
الوضعي ، لذلك : أصبح الجهاد فرض عين على مسلمي مورو .

## فشل سياسة العدو :

لقد أدرك العدو الصليبي ذلك ، وأدرك أن عمليات القمع والاضطهاد والظلم
والإرهاب لن تمنع المسلمين من مواصلة جهادهم ، كما أدرك كذلك أن المكر والكيد
والخداع لن يفيده في معاملته مع المسلمين ، كما علم أيضاً أن سياسة الاستعمار
القديمة وهي (فرق تسد) لن تؤثر على المسلمين .
وإذا كان العدو يريد أن يحسم الأمر لصالح الاستقرار والأمن فلم يبق أمامه إلا
أمران فقط :
إما أن ينسحب من المناطق الإسلامية ، ويترك المسلمين أحراراً ليعيدوا بناء
دولتهم المغتصبة وهو الخيار السهل .
وإما أن يحارب المسلمين بقيادة (جبهة تحرير مورو الإسلامية) ، و العلماء
الأحرار والأخيار ، و خيرة المسلمين من الدعاة و المربين و المجاهدين والمثقفين ،
ويعلم العدو أن (جبهة تحرير مورو الإسلامية) تملك الآن قوة عسكرية لا بأس بها ،
وأن مجاهديها قد تضاعف عددهم ، وتحسنت أوضاعهم العسكرية .

## هل يتم الحسم :

إن (جبهة تحرير مورو الإسلامية) تعتبر هذه السنة مرحلة حاسمة في جهادها
الطويل ، وتتوقع قيام حرب واسعة النطاق بينها وبين حكومة الفلبين ، فقد أعد كل
فريق عدته وحشد قواته ، وكل فريق يبذل أقصى الجهد لحسم المواجهة المتوقعة
لصالحه ، لهذا نقول : إن جهادنا في سبيل الله وصل الآن إلى مرحلة حاسمة ،
ونسأل الله أن يكون الحسم لصالح الإسلام والمسلمين .

---

**(*) من تقرير عن أوضاع المسلمين في مورو ، صدر عن جبهة تحرير مورو الإسلامية ، وكتب أصله رئيس الجبهة الشيخ (سلامات هاشم) (بتصرف) .**

## - البيان -

في دائرة الضوء

## أسماء الله الحسنى الفقه والآثار

**بقلم : د . عبد العزيز آل عبد اللطيف**

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام
على البشير النذير والسراج المنير نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : إن أجلّ المقاصد وأنفع العلوم : العلم بمعاني أسماء الله (عز وجلّ)
الحسنى وصفاته العلا ، فإن التعرّف على الله (تعالى) من خلال أسمائه وصفاته
يحقق العلم الصحيح بفاطر الأرض والسماوات ، والعلم بأسماء الله وصفاته يستلزم
عبادة الله (تعالى) ومحبته وخشيته ، ويوجب تعظيمه وإجلاله .

ومع أهمية هذا الجانب وجلالة قدره ، إلا أن ثمة غفلة عنه ، فنلحظ التقصير
في فقه أسماء الله وصفاته ، وإهمال التعبّد والدعاء بها ، وضعف الالتفات إلى ما
تقتضيه هذه الأسماء الحسنى من الآثار والثمرات .

**وسأتحدث - مستعيناً بالله (تعالى) - عن هذا الموضوع من خلال ما يلي :**

أ- تظهر أهمية هذا الموضوع عبر الآيات القرآنية المتعددة التي
تحض على تدبر القرآن الكريم ؛ كما قال (سبحانه) : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص : 29] ، وذمّ القرآن من لا
يفهمه ، فقال (تعالى) : ﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ [
النساء : 78] ، ولا شك أن فقه أسماء
الله (تعالى) وصفاته يدخل في ذلك دخولاً أوليّاً .

كما أن عبادة الله (تعالى) ومعرفته آكد الفرائض ، ولا يتحقق هذا إلا بمعرفة
أسماء الله وصفاته .

**يقول قوام السنة الأصفهاني (ت 535 هـ) :**

( قال بعض العلماء : أول فرض فرضه الله على خلقه : معرفته ، فإذا عرفه
الناس عبدوه ، قال الله (تعالى) : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد : 19] ،
فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ؛ فيعظموا الله حق عظمته ، ولو
أراد رجل أن يعامل رجلاً : طلب أن يعرف اسمه وكنيته ، واسم أبيه وجده ، وسأل ،

عن صغير أمره وكبيره ، فالله الذي خلقنا ورزقنا ، ونحن نرجو رحمته ونخاف من
سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها) [1] .

وفقه أسماء الله (تعالى) وصفاته يوجب تحقيق الإيمان والعبادة لله وحده ،
وإفراده (سبحانه) بالقصد والحبّ والتوكل وسائر العبادات ، كما بيّن ذلك أهل العلم .

ولذا : يقول العز بن عبد السلام : (فهم معاني أسماء الله (تعالى) وسيلة إلى
معاملته بثمراتها من : الخوف ، والرجاء ، والمهابة ، والمحبة ، والتوكل ، وغير
ذلك من ثمرات معرفة الصفات) [2] .

ويقول أيضاً : (ذكرُ الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة ، وبأوصاف الكمال
موجب للمهابة ، وبالتوّحد بالأفعال موجب للتوكل ، وبسعة الرحمة موجب للرجاء ،
وبشدة النقمة موجب للخوف ، وبالتفرّد بالإنعام موجب للشكر ، ولذلك قال
(سبحانه) : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ ) .

**ويقول ابن القيم في هذا الصدد :**

( لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرّب
(جلّ جلاله) ويعرفها معرفة تخرج عن حدّ الجهل بربه ، فالإيمان بالصفات
وتعرّفها هو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان ، وثمرة شجرة الإحسان ، فضلاً عن أن
يكون من أهل العرفان ... ) [3] .

**ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي :**

( إن معرفة الله (تعالى) تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص
العمل له ، وهذا عين سعادة العبد ، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته ،
والتفقه في فهم معانيها ..

بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به ، ويبذل جهده في معرفة
أسمائه وصفاته ، حتى يبلغ درجة اليقين .

وبحسب معرفته بربه ، يكون إيمانه ، فكلما ازداد معرفة بربه ، ازداد إيمانه ،
وكلما نقص نقص ، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك : تدبر صفاته وأسمائه من
القرآن .. ) [4] .

* والمقصود بالتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته : تحقيق العلم بها ابتداءً ،

وفقه معاني أسمائه وصفاته ، وأن يعمل بها ، فيتصف بالصفات التي يحبها الله
(تعالى) : كالعلم ، والعدل ، والصبر ، والرحمة .. ونحو ذلك ، وينتهي عن
الصفات التي يكرهها له (تعالى) من عبيده مما ينافي عبوديتهم لله (تعالى) ،
كالصفات التي لا يصح للمخلوق أن يتصف بها كالكبر والعظمة والجبروت ...
فيجب على العبد إزاءها الإقرار بها والخضوع لها .
ومن العمل بها : أن يدعو الله (تعالى) بها ؛ كما قال (سبحانه) :  وَلِلَّهِ
الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا  [الأعراف : 180] ، كما أن من العمل بها : تعظيمها
وإجلالها ، وتحقيق ما تقتضيه من فِعْل المأمورات وترك المحظورات .
يقول ابن تيمية : (إن من أسماء الله (تعالى) وصفاته ما يُحمد العبد على
الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك ، ومنها ما يذم العبد على الاتصاف
به كالإلهية والتجبر والتكبر ، وللعبد من الصفات التي يُحمد عليها ويؤمر بها ما
يمنع اتصاف الربّ به كالعبودية والافتقار والحاجة والذل والسؤال
ونحو ذلك .. ) [5] .
وقال ابن القيم : (لما كان (سبحانه) يحبّ أسماءه وصفاته : كان أحبّ الخلق
إليه من اتصف بالصفات التي يحبها ، وأبغضهم إليه : من اتصف بالصفات التي
يكرهها ، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت ؛ لأن اتصافه بها
ظلم ، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه ؛ لمنافاتها لصفات العبيد ، وخروج من
اتصف بها من ربقة العبودية ، ومفارقته لمنصبه ومرتبته ، وتعديه طوره وحدّه ،
وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر
والشكر ، فإنها لا تنافي العبودية ، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته ، إذ المتصف بها
من العبيد لم يتعد طوره ، ولم يخرج بها من دائرة العبودية) [6] .
وقال الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث (إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا
واحداً من أحصاها دخل الجنة) [7] :
( وقيل : معنى أحصاها : عمل بها ، فإذا قال : (الحكيم) ، مثلاً ، سلّم جميع

أوامره ، لأن جميعها على مقتضى الحكمة ، وإذا قال : (القدوس) ، استحضر كونه
منزهاً عن جميع النقائص ، وهذا اختيار أبي الوفا بن عقيل . وقال ابن بطّال :
طريق العمل بها : أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم : فإن الله يحب
أن يرى حالاها على عبده ، فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها ، وما
كان يختص بالله (تعالى) كالجبار والعظيم : فيجب على العبد الإقرار بها ،
والخضوع لها ، وعدم التحلي بصفة منها ، وما كان فيه معنى الوعد : نقف منه عند
الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد : نقف منه عند الخشية والرهبة) [8] .

* ومما يستحق تقريره ها هنا : أن تلازماً وثيقاً بين إثبات الأسماء والصفات
لله (تعالى) وتوحيد الله (تعالى) بأفعال العباد ، فكلما حقّقَ العبد أسماء الله وصفاته
علماً وعملاً ، كلما كان أعظم وأكمل توحيداً ، وفي المقابل : فإن هناك تلازماً وطيداً
بين إنكار الأسماء أو الصفات وبين الشرك .

يقول ابن القيم في تقرير هذا التلازم : (كل شرك في العالم فأصله التعطيل ،
فإنه لولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به ، لما أشرك به ، كما قال إمام
الحنفاء وأهل التوحيد لقومه :  أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ
العَالَمِينَ  [الصافات : 86 ، 87] أي : فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه
غيره ؟ ، وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه شركاء ؟ أظننتم أنه محتاج إلى
الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه شيء من أحوال عباده حتى يحتاج إلى
شركاء تعرفه بها كالملوك ؟ ، أم ظننتم أنه لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم
وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاسٍ فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده ؟ ...
والمقصود : أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على
حسب تعطيله ، فمستقلّ ومستكثرٌ) [9] .

ونورد أمثلة في توضيح هذا التلازم والصلة بين توحيد العبادة وتوحيد الأسماء

والصفات .
فالدعاء مثلاً هو آكد العبادات وأعظمها ؛ فالدعاء هو العبادة كما أخبر
المصطفى ، وهو لا ينفك عن إثبات وفقه أسماء الله (تعالى) وصفاته .
ويشير ابن عقيل إلى هذه الصلة بقوله : (قد ندب الله (تعالى (إلى الدعاء ،
وفي ذلك معانٍ :
أحدها : الوجود ، فإن من ليس بموجود لا يُدعى .
الثاني : الغنى ، فإن الفقير لا يُدعى .
الثالث : السمع ، فإن الأصم لا يُدعى .
الرابع : الكرم ، فإن البخيل لا يُدعى .
الخامس : الرحمة ، فإن القاسي لا يُدعى .
السادس : القدرة ، فإن العاجز لا يُدعى) [10] .
والتوكل على الله (تعالى (وحده شرط في الإيمان ، وأجلّ العبادات القلبية ،
ولا يتحقق التوكل إلا بمعرفة أسماء الله (تعالى) وصفاته.
وقد وضح ذلك ابن القيم بقوله :
( ولا يتم التوكل إلا بمعرفة الربّ وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته
وانتهاء الأمور إلى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته ، قال شيخنا ابن تيمية
(رحمه الله) : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ، ولا من القدرية
النفاة القائلين بأن يكون في ملكه ما لا يشاء ، ولا يستقيم أيضاً من الجهمية النفاة
لصفات الربّ (جلّ جلاله) ، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات .
فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفليه وعلويه ، ولا هو
فاعل باختياره ، ولا له إرادة ومشيئة ، ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله
وصفاته أعلم وأعرف ، كان توكله أصح وأقوى ، والله (سبحانه وتعالى) أعلم) [11] .
وحسن الظن بالله والثقة به (تعالى) عبادة جليلة تقوم على فقه أسماء الله
وصفاته ، كالحكمة والقدرة .. ، كما أن سوء الظن بالله من آثار إنكار أسماء الله
(تعالى) وصفاته .
يقول ابن القيم : (وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما

يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله ، وأسماءه وصفاته ، وعرف
موجب حكمته وحمده ...
ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تَعَتّباً على القدَر وملامة له ... وأنه كان
ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك ؟ ) [12] .
وأشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) إلى أن أصول العبادة الثلاثة
(الحبّ ، والرجاء ، والخوف) من آثار وثمرات التعبد بأسماء الله وصفاته ، فقال في
مسائل ذكرها في تفسير سورة الفاتحة : (أركان الدين : الحب ، والرجاء ، والخوف ، فالحب في الأولى ، وهي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ ، والرجاء في الثانية ،
وهي ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، والخوف في الثالثة ، وهي ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ) [13] .
إذا ظهر بهذه الأمثلة مدى التلازم الوثيق بين صفات الله (تعالى) وما تقتضيه
من العبادات الظاهرة والباطنة ، فيمكن أن نخلص إلى ما حرره ابن القيم بقوله :
( لكل صفة عبوديةٌ خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ، أعني : من
موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها ، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي
على القلب والجوارح ، فعلم العبد بتفرد الرب (تعالى) بالضرّ والنفع ، والعطاء
والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة : يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ،
ولوزام التوكل وثمراته ظاهراً ، وعلمه بسمعه (تعالى) وبصره ، وعلمه أنه لا يخفى
عليه مثقال ذرة ، وأنه يعلم السر ، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور : يثمر له
حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه على كل ما لا يرضي الله ، وأن يجعل تعلق
هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك : الحياء باطناً ، ويثمر له الحياء
اجتناب المحرمات والقبائح ، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته
توجب له سعة الرجاء ... وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه ، تثمر له
الخضوع والاستكانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية

الظاهرة ، هي موجباتها .. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات) [14] .

* والتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته له آثاره الطيبة في حسن الخلق وسلامة
السلوك ، كما أن تعطيل أسماء الله (تعالى) وصفاته لا ينفك عن مساوئ الأخلاق
ورديء السلوك .

ومثال ذلك : أن القدرية النفاة لما كانوا ينفون علم الله (تعالى) (المحيط بكل
شيء ، ويزعمون أن العبد يخلق فعله نفسه ، فالخير هو الذي أوجده العبد وفَعَله
على حدّ زعمهم ، ودخوله الجنة عوض عمله ، فأورثهم ذلك غروراً وعُجباً ، وكما
قال أبو سليمان الداراني :

(كيف يعجب عاقل بعمله ؟ وإنما يعدّ العمل نعمة من الله ، إنما ينبغي له أن
يشكر ويتواضع ، وإنما يعجب بعمله القدرية) [15] .

والتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته سبب رئيس في السلامة من الآفات :
كالحسد ، والكبر ، كما قال ابن القيم : (لو عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت
الجلال ، لم يتكبر ولم يحسد أحداً عى ما آتاه الله ؛ فإن الحسد في
الحقيقة نوع من معاداة الله ؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها
الله ، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك ،
فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته ... ) [16] .

والتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته يثمر الموقف الصحيح تجاه المكروهات
والمصائب النازلة ؛ فإن الإنسان ظلوم جهول ، والله (تعالى) بكل شيء عليم ، وهو
(سبحانه) حَكَمٌ عدْل ، ولا يظلم (تعالى) أحداً ، قال (سبحانه) : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ
وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ
لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 216]

يقول ابن القيم : (من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم
يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح
والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته ، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها
فيما يحب ... ) [17] .

ويقول أيضاً : ( .. فكل ما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة ونقص في
نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب (تعالى) بالقسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وإن
أجراه على يد ظالم ، فالمسلط له أعدل العادلين ، كما قال (تعالى) لمن أفسد في
الأرض : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً
مَّفْعُولاً ﴾ [الإسراء : 5] [18] .

* وفي ختام هذه المقالة نسوق أمثلة من أسماء الله (تعالى) ، وبيان معانيها
وما تقتضيه من العبادات ، يقول قوام السنة الأصفهاني أثناء حديثه عن اسم الله
(تعالى) (الرزاق) :

( الرزاق : المتكفل بالرزق ، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ،
وَسِعَ الخلقَ كلهم رزقُه ، فلم يخص بذلك مؤمناً دون كافر ، ولا وليّاً دون عدو ،
ويرزق مَنْ عبده ومَنْ عبد غيره ، والأغلب من المخلوق أن يرزق فإذا غضب
منع ، حكي أن بعض الخلفاء أراد أن يكتب جِراية لبعض العلماء ، فقال : لا أريده ، أنا
في جراية من إذا غضب عليّ لم يقطع جرايته عني ، قال الله (تعالى) : ﴿ وَكَأَيِّن
مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت : 60] ، والمخلوق إذا
رزق ، فإنه يفنى ما عنده فيُقْطعُ عطاؤه عمن أفضل عليه ، فإن لم يفن ما عنده فني
هو وانقطع العطاء ، وخزائن الله لا تنفد وملكه لا يزول .. ) [19] .

ولما ذكر القرطبي من أسماء الله (تعالى) (الحفيظ) محتجّاً بقوله
(تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [الشورى : 6] ، قال : (يجب
على كل مكلف أن يعلم أن الله هو الحافظ لجميع الممكنات ، وأعظم الحفظ : حفظ
القلوب وحراسة الدين عن الكفر والنفاق وأنواع الفتن وفنون الأهواء والبدع ؛ حتى
لا يزلّ عن الطريقة المثلى ، قال (تعالى) : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [ابراهيم : 27] .

ويجب علينا حفظ حدوده ، وحفظ ما وجب علينا من حقوقه ، فيدخل في ذلك :
معرفة الإيمان والإسلام وسائر ما يتعيّن علينا علمه .. ) [20] .

* ومن إشراقات ابن القيّم التي سطرها أثناء حديثه عن اسمي الله (تعالى) :
(الأول) و (الآخر) مايلي :
( من عبد الله (تعالى) باسمه (الأول) و (الآخر) حصلت له حقيقة هذا الفقر
[توجه القلب إلى الله وحده في جميع الأحوال] .. فإن عبوديته باسمه (الأول)
تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها ، وتجريد النظر إلى
مجرد سبق فضله ورحمته ، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد .
وعبوديته باسمه (الآخر) تقتضي أيضاً عدم ركونه للأسباب ، فإنها تنعدم لا
محالة وتنقضي بالآخرية ، ويبقى الدائم الباقي بعدها ، فالتعلق بها تعلق بما يعدم
وينقضي ، والتعلق ب) الآخر) (سبحانه) تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول ،
فالمتعلّق به حقيق أن لا ينقطع ، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به) [21] .

---

**(1) الحجة في بيان المحجة ، ج 1 ، ص 122 .**
**(2) شجرة المعارف والأحوال ، ص 1 .**
**(3) مدارج السالكين ، ج 3 ، ص 347 .**
**(4) تفسير السعدي ، ج 1 ، ص 24 .**
**(5) الصفدية ، ج 2 ، ص 338 .**
**(6) طريق الهجرتين ، ص 129 .**
**(7) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب 12 ، وكتاب الشروط ، باب 18 ، وكتاب الدعوات ، باب 68 .**
**(8) فتح الباري ، ج 11 ، ص 229 .**
**(9) مدارج السالكين ، ج 3 ، ص 347 ، باختصار .**
**(10) شرح الطحاوية ، ج 2 ، ص 678 .**
**(11) مدارج السالكين ، ج 2 ، ص 117 .**
**(12) زاد المعاد ، ج 3 ، ص 229235 ، بتصرف ، وانظر : كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، باب قوله (تعالى) : ] يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ [ .**
**(13) تاريخ ابن غنام ، ج 2 ، ص 360 .**
**(14) مفتاح دار السعادة ، ج 2 ، ص 90 باختصار ، وانظر : طريق الهجرتين ، ص 43 ، ومدارج السالكين ، ج 1 ، ص 420 ، ج 3 ، ص 351 ، والفوائد ، ص 63 .**
**(15) حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، ج 9 ، ص 263 .**
**(16) الفوائد ، ص 150 .**
**(17) السابق ، ص 85 .**
**(18) مدارج السالكين ، ج 1 ، ص 425 .**
**(19) الحجة في بيان المحجة ، ج 1 ، ص 138 ، وانظر : الأسنى للقرطبي ، ج 1 ، ص 284 .**
**(20) الأسنى ، شرح أسماء الله الحسنى ، ج 1 ، ص 311 .**
**(21) طريق الهجرتين ، ص 19 ، باختصار .**

مقال

# خير أيام الدنيا
# ماذا يشرع فيها ؟

**بقلم : عبد الحكيم بن محمد بلال**

**تمهيد :**

من رحمة الله (تبارك وتعالى) أن فاضل بين الأزمنة ، فاصطفى واجتبى منها
ما شاء بحكمته ، قال (عز وجل) : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ
الخِيَرَةُ .. ﴾ [القصص : 68] وذلك التفضيل من فضله وإحسانه ؛ ليكون عوناً
للمسلم على تجديد النشاط ، وزيادة الأجر ، والقرب من الله (تعالى) . ونظرة في
واقع الكثير تنبئك عن جهل كبير بفضائل الأوقات ، ومن أكبر الأدلة على ذلك :
الغفلة عن اغتنامها ، مما يؤدي إلى الحرمان من الأجر .

والأمر الذي يحتاج إلى وقفة تأمل : التباين الكبير بين كون عشر ذي الحجة
أفضل أيام الدنيا ، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله من العمل فيما سواها ، وبين
واقع الناس وحالهم في تلك العشر ، فالكثير لا يحرك ساكناً ، والأكثر لم يقم الأمر
عنده ولم يقعد ، ومن مظاهر ذلك مثلاً هجر سُنّة التكبير المطلق وهي من شعائر
تلك الأيام .

وعلى الرغم من أن هذه الأيام أعظم من أيام رمضان ، والعمل فيها أفضل ،
إلا أنه لا يحصل فيها ولو شيء مما يحصل في رمضان ؛ من النشاط في عمل
الآخرة ، ولا غرو ، فالفارق بين الزمنين واضح ، فقد اختص رمضان بما لم
تختص به العشر ، ومن ذلك :

وقوع فريضة الصوم فيه ، وهي (فريضة العام) على كل مسلم ، مع ما يكون
فيها من تربية للمسلم ، وزيادة لإيمانه ، بخلاف الحج فهو فريضة العمر .

ارتباط رمضان بنزول القرآن فيه مما جعله شهر القرآن ، وذلك له أثر كبير
في إقبال الناس فيه على كتاب الله الكريم .

الترغيب الخاص بقيام لياليه ، وهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في قيام

العشر ، وتحري ليلة القدر .
وهذه الأمور الثلاثة جعلت لرمضان جوّاً خاصًّا متميزاً تنقلب حياة
النّاس فيه ، وتتغير أيًّا كان نوع ذلك التغير .
ما يحصل في رمضان من تصفيد الشياطين ، وفتح أبواب الجنة ، وإغلاق
أبواب النيران ، مما يكون له أعظم الأثر في انبعاث الناس للعبادة
وحماسهم لها .
فيكون ذلك حافزاً للعلماء والدعاة والأئمة والخطباء ليخاطبوا قلوب الناس ، ما دامت
مقبلة على الخير .
كل ذلك وغيره يجعل هذه العشر ابتلاءً وامتحاناً للناس ، فلا يحصل فيها من
المعونة على الخير كما يحصل في رمضان ، والموفق من وفقه الله ، فشمر وجد
واجتهد .

## فضل عشر ذي الحجة :

## قد دل على فضلها أمور [1] :

**الأول :** قال (تعالى) : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر : 1 ، 2] قال غير
واحد : إنها عشر ذي الحجة ، وهو الصحيح [2] . ولم يثبت عن النبي -صلى الله
عليه وسلم- شيء في تعيينها .

**الثاني :** أن النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد أنها أعظم أيام الدنيا ، وجاء
ذلك في أحاديث كثيرة منها : قوله (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من
هذه الأيام العشر ، فقالوا : يارسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ فقال رسول الله
-صلى الله عليه وسلم- : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم
يرجع من ذلك بشيء) [3] .
وقوله : (ما من أيام أعظم عند الله ، ولا أحب إليه من العمل فيهن ، من هذه
العشر ، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) [4] ، والمراد في الحديثين :
(أن كل يوم من أيام العشر أفضل من غيره من أيام السنة ، سواء أكان يوم الجمعة
أم لا ، ويوم الجمعة فيه أفضل من الجمعة في غيره ؛ لاجتماع الفضلين فيه) [5] .

**الثالث :** أنه حث على العمل الصالح فيها ، وأمر بكثرة التهليل والتكبير .

**الرابع :** أن فيها يوم عرفة ويوم النحر .
**الخامس :** أنها مكان لاجتماع أمهات العبادة فيها ، وهي : الصلاة ، والصيام ،
والصدقة ، والحج ، ولا يتأتى ذلك في غيرها [6] .

## أنواع العمل الصالح في أيام العشر :

وحيث ثبتت فضيلة الزمان ثبتت فضيلة العمل فيه ، وأيضاً فقد جاء النص
على محبة الله للعمل في العشر ، فيكون أفضل ، فتثبت فضيلة العمل من وجهين .

## وأنواع العمل فيها ما يلي :

## الأول : التوبة النصوح :

وهي الرجوع إلى الله (تعالى) ، مما يكرهه ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً
وباطناً ، ندماً على ما مضى ، وتركاً في الحال ، وعزماً على ألا يعود . وما يتاب
منه يشمل : ترك الواجبات ، وفعل المحرمات . وهي واجبة على المسلم حين يقع
في معصية ، في أي وقت كان ؛ لأنه لا يدري في أي لحظة يموت ، ثم إن السيئات
يجر بعضها بعضاً ، والمعاصي تكون غليظة ويزداد عقابها بقدر فضيلة الزمان
والمكان ؛ قال (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾
[التحريم : 8] ، وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله تعالى) : أن النّصْح في التوبة يتضمن
ثلاثة أشياء :
استغراق جميع الذنوب ، و إجماع العزم والصدق ، و تخليصها من الشوائب
والعلل ، وهي أكمل ما يكون من التوبة [7] .

## الثاني : أداء الحج والعمرة :

وهما واقعان في العشر ، باعتبار وقوع معظم مناسك الحج فيها ، ولقد رغب
النبي -صلى الله عليه وسلم- في هاتين العبادتين العظيمتين ، وحث عليهما ؛ لأن
في ذلك تطهيراً للنفس من آثار الذنوب ودنس المعاصي ، ليصبح أهلاً لكرامة الله
(تعالى) في الآخرة .

## الثالث : المحافظة على الواجبات :

والمقصود : أداؤها في أوقاتها وإحسانها بإتمامها على الصفة الشرعية الثابتة

عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ومراعاة سننها وآدابها . وهي أول ما
ينشغل به العبد في حياته كلها ؛ روى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (إن الله قال : من عادى لي وليّاً فقد
آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما
يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن
سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي
عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته) [8] .

قال الحافظ : (وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به : امتثال الأمر ،
واحترام الآمر ، وتعظيمه بالانقياد إليه ، وإظهار عظمة الربوبية ، وذل العبودية ،
فكان التقرب بذلك أعظم العمل) [9] . والمحافظة على الواجبات صفة من الصفات
التي امتدح الله بها عباده المؤمنين ، قال (عز وجل) :  وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ  [المعارج : 34] ، وتتأكد هذه المحافظة في هذه الأيام ، لمحبة الله للعمل
فيها ، ومضاعفة الأجر .

## الرابع : الإكثار من الأعمال الصالحة :

إن العمل الصالح محبوب لله (تعالى) في كل زمان ومكان ، ويتأكد في هذه
الأيام المباركة ، وهذا يعني فضل العمل فيها ، وعظم ثوابه ، فمن لم يمكنه الحج
فعليه أن يعمر وقته في هذه العشر بطاعة الله (تعالى) ، من : الصلاة ، وقراءة
القرآن ، والذكر ، والدعاء ، والصدقة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .. وغير ذلك من طرق الخير ، وهذا من أعظم
الأسباب لجلب محبة الله (تعالى) .

## الخامس : الذكر :

وله مزية على غيره من الأعمال ؛ للنص عليه في قوله (تعالى) :  وَيَذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ  [الحج :
28] قال ابن عباس : أيام العشر [10] ، أي : يحمدونه ويشكرونه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، ويدخل فيه : التكبير ، والتسمية

على الأضحية والهدي [11] ، ولقوله : (فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) .

## السادس : التكبير :

يسن إظهار التكبير في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق ، وغيرها ،
يجهر به الرجال ، وتسر به المرأة ، إعلاناً بتعظيم الله (تعالى) .
وأما صيغة التكبير فلم يثبت فيها شيء مرفوع ، وأصح ما ورد فيه : قول
سلمان : (كبروا الله : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً) . وهناك صيغ وصفات
أخرى واردة عن الصحابة والتابعين [12] .
والتكبير صار عند بعض الناس من السنن المهجورة ، وهي فرصة لكسب
الأجر بإحياء هذه السنة ، قال : (من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي ، فإن له
من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً) [13] . وقد ثبت
أن ابن عمر وأبا هريرة كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس
بتكبيرهما [14] . والمراد : يتذكر الناس التكبير ، فيكبرون بسبب تكبيرهما ، والله
أعلم .
والتكبير الجماعي بصوت واحد متوافق ، أو تكبير شخص ترد خلفه
مجموعة : من البدع التي ينبغي على المسلم الحريص على اتباع سنة النبي -صلى الله عليه
وسلم- اجتنابها والبعد عنها ، أما الجاهل بصفة التكبير فيجوز تلقينه حتى يتعلم ،
فإن قيل : إن التكبير الجماعي سبب لإحياء هذه السنة ، فإنه يجاب عليه : بأن
الجهر بالتكبير إحياء للسنة ، دون أن يكون جماعيًّا ، ومن أراد فعل السنة ، فإنه لا
ينتظر فعل الناس لها ، بل يكون أول الناس مبادرة إليها ، ليقتدي به غيره .

## السابع : الصيام :

عن حفصة (رضي الله عنها) قالت : (أربع لم يكن يدعهن النبي -صلى الله
عليه وسلم- : صيام عاشوراء ، والعشر ، وثلاثة أيام من كل شهر ، والركعتين قبل
الغداة) [15] . والمقصود : صيام التسع أو بعضها ؛ لأن العيد لا يصام ، وأما ما

اشتهر عند العوام ولا سيما النساء من صيام ثلاث الحجة ، يقصدون بها اليوم السابع
والثامن والتاسع ، فهذا التخصيص لا أصل له .

## الثامن : الأضحية :

وهي سنة مؤكدة في حق الموسر ، وقال بعضهم كابن تيمية بوجوبها [16]،
وقد أمر الله بها نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، فقال : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾
[الكوثر : 2] فيدخل في الآية صلاة العيد ، ونحر الأضاحي ، فقد كان النبي -صلى
الله عليه وسلم- يحافظ عليها ، قال ابن عمر (رضي الله عنهما) : أقام النبي -صلى
الله عليه وسلم- بالمدينة عشر سنين يضحي [17] .

## التاسع : صلاة العيد :

وهي متأكدة جدًّا ، والقول بوجوبها قوي [18] فينبغي حضورها ، وسماع
الخطبة ، وتدبر الحكمة من شرعية هذا العيد ، وأنه يوم شكر وعمل صالح .

## يوم عرفة :

وقد زاد هذا اليوم فضلاً ومزية على غيره ، فاستحق أن يخص بحديث مستقل
يكشف عن أوجه تفضيله وتشريفه ، ومن تلك الأوجه ما يلي :

## أولاً : أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة :

روى البخاري [19] : قالت اليهود لعمر : إنكم تقرؤون آية ، لو نزلت فينا
لاتخذناها عيداً ، فقال عمر : إني لأعلم حيث أنزلت ، وأين أنزلت ، وأين كان
رسول الله حين أنزلت : يوم عرفة ، إنا والله بعرفة ، قال سفيان : وأشك كان يوم
الجمعة أم لا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ
دِيناً ﴾ [المائدة : 3] . وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل ؛ لأن المسلمين لم يكونوا
حجوا حجة الإسلام من قبل ، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان
الإسلام كلها ، ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم (عليه السلام) ، ونفى الشرك وأهله ، فلم
يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد . وأما إتمام النعمة فإنما
حصل بالمغفرة ، فلا تتم النعمة بدونها ، كما قال الله لنبيه : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ [الفتح : 2] [20] .

## ثانياً : أنه يوم عيد :

عن أبي أمامة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (يوم عرفة ، ويوم
النحر ، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهي أيام أكل وشرب) [21]
.

## ثالثاً : أن صيامه يكفر سنتين :

قال عن صيامه : (يكفر السنة الماضية والباقية) [22] .

## رابعاً : أنه يوم مغفرة الذنوب ، والعتق من النار :

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (ما
من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي
بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ ) [23] قال ابن عبد البر : (وهو يدل على
أنهم مغفور لهم ؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب ، إلا بعد التوبة والغفران ،
والله أعلم) [24] .

## الأعمال المشروعة فيه :

أولاً : صيام ذلك اليوم :

ففي صحيح مسلم قال : ( ... صيام يوم عرفة أَحْتَسِبُ على الله أن يكفر السنة
التي قبله ، والسنة التي بعده ... ) [25] . وصومه إنما شرع لغير الحاج ، أما
الحاج فلا يجوز له ذلك . ويتأكد حفظ الجوارح عن المحرمات في ذلك اليوم ، كما
في حديث ابن عباس ، وفيه : (إن هذا اليوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه :
غُفر له) [26] . ولا يخفى أن حفظ الجوارح فيه حفظ لصيام الصائم ، وحج
الحاج ، فاجتمعت عدة أسباب معينة على الطاعة وترك المعصية .

## ثانياً : الإكثار من الذكر والدعاء :

قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما
قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك
وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير) [27] ، قال ابن عبد البر : (وفي الحديث دليل على أن
دعاء يوم عرفة مجاب في الأغلب ، وأن أفضل الذكر : لا إله إلا الله) [28] . قال
الخطابي : (معناه : أكثر ما أفتتح به دعائي وأقدمه أمامه من ثنائي على الله (عز
وجل) ، وذلك أن الداعي يفتتح دعاءه بالثناء على الله (سبحانه وتعالى) ، ويقدمه
أمام مسألته ، فسمي الثناء دعاء ... ) [29] .

## ثالثاً : التكبير :

سبق في بيان وظائف العشر أن التكبير فيها مستحب كل وقت ، في كل مكان
يجوز فيه ذكر الله (تعالى) . وكلام العلماء فيه يدل على أن التكبير نوعان :
الأول : التكبير المطلق : وهو المشروع في كل وقت من ليل أو نهار ، ويبدأ
بدخول شهر ذي الحجة ، ويستمر إلى آخر أيام التشريق .
الثاني : التكبير المقيد : وهو الذي يكون عقب الصلوات ، والمختار : أنه
عقب كل صلاة ، أيًّا كانت ، وأنه يبدأ من صبح عرفة إلى آخر أيام التشريق [30].
وخلاصة القول : أن التكبير يوم عرفة والعيد ، وأيام التشريق يشرع في كل
وقت وهو المطلق ، ويشرع عقب كل صلاة وهو المقيد .

## يوم النحر :

لهذا اليوم فضائل عديدة : فهو يوم الحج الأكبر [31] وهو أفضل أيام
العام ؛ لحديث : (إن أعظم الأيام عند الله (تبارك وتعالى) : يوم النحر ، ثم يوم القرّ) [32]
وهو بذلك أفضل من عيد الفطر ، ولكونه يجتمع فيه الصلاة والنحر ، وهما
أفضل من الصلاة والصدقة [33] .
وقد اعتبرت الأعياد في الشعوب والأمم أيام لذة وانطلاق ، وتحلل وإسراف ،
ولكن الإسلام صبغ العيدين بصبغة العبادة والخشوع إلى جانب الفسحة
واللهو المباح [34] . وقد شرع في يوم النحر من الأعمال العظيمة
كالصلاة ، والتكبير ، ونحر الهدي ، والأضاحي ، وبعض من مناسك الحج ما
يجعله موسماً مباركاً للتقرب إلى الله (تعالى) ، وطلب مرضاته ، لا كما
هو حال الكثير ممن جعله يوم لهو ولعب فحسب ، إن لم يجعله يوم
أشر وبطر ، والعياذ بالله .

## أيام التشريق :

وهي الأيام الثلاثة التالية ليوم النحر [35] ، وهي التي عناها الله (تعالى)
بقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : 203] ، كما جاء
عن ابن عباس [36] ، وذكر القرطبي أنه لا خلاف في كونها أيام
التشريق [37] . وهي أيام عيد للمسلمين ؛ لحديث : (يوم عرفة ،
ويوم النحر ، وأيام منى : عيدنا أهل الإسلام) [38] . وقد نهي عن
صيامها ، وهي واقعة بعد العشر الفاضلة ، فتشرف بالمجاورة أيضاً ،
وتشترك معها بوقوع بعض أعمال الحج فيها ، ويدخل فيها يوم النحر ،
فيعظم شرفها وفضلها بذلك كله [39] . كما أن ثانيها وهو يوم القر وهو
الحادي عشر أفضل الأيام بعد يوم النحر ، وهذه الأيام الأربعة هي أيام

نحر الهدي والأضاحي على الراجح من أقوال أهل العلم ؛ تعظيماً لله (تعالى) ، وهذا مما يزيدها فضلاً ، وهذه الأيام من أيام العبادة والذكر والفرح ، قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- : (أيام التشريق أيام أكل وشرب ، وذكر لله) [40] ، فهي أيام إظهار الفرح والسرور بنعم الله العظيمة ، وفي الحديث إشارة إلى الاستعانة بالأكل والشرب على ذكر الله ، وهذا من شكر النعم [41] . وذكر الله المأمور به في الحديث أنواع متعددة منها :

1- التكبير فيها : عقب الصلوات ، وفي كل وقت ، مطلقاً ومقيداً ، كما هو ظاهر الآية ، وبه يتحقق كونها أيام ذكر لله [42] .

2- ذكر الله (تعالى) بالتسمية والتكبير عند نحر الهدي والأضاحي .

3- ذكره عند الأكل والشرب ، وكذا أذكار الأحوال الأخرى .

4- التكبير عند رمي الجمار .

5- ذكر الله (تعالى) المطلق [43] .

هذه ذكرى ، أسأل الله أن ينفع بها ، وأعوذ بالله من أن يكون أهل البدع أجلد في بدعهم ، وأنشط في باطلهم ، من أهل الحق في فعل الخير والاستقامة على السنة .

---

**(1) انظر : (مجالس عشر ذي الحجة) للشيخ / عبد الله بن صالح الفوزان .**
**(2) تفسير ابن كثير ، ج4 ص505 .**
**(3) أخرجه البخاري ، ح/969 ، و الترمذي ، ح/757 ، واللفظ له .**
**(4) أخرجه أحمد ، ج2ص75 ، 132 ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .**
**(5) فتح الباري ، ج2ص534 .**
**(6) انظر : المصدر السابق .**
**(7) انظر : مدارج السالكين ، ج1 ص316 ، 317 .**
**(8) أخرجه البخاري ، ح/6502 .**
**(9) فتح الباري ، ج11 ص351 .**
**(10) صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق .**
**(11) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج24 ص225 .**
**(12) فتح الباري ، ج2 ص536 ، وقال الحافظ : (وقد أحدث في هذا الزمان زيادة لا أصل لها) .**
**(13) أخرجه ابن ماجة ، ح/209 ، وانظر : صحيح سنن ابن ماجة ، ح/ 173 .**
**(14) البخاري ، كتاب العيدين ، باب العمل في أيام التشريق .**
**(15) انظر : المسند ، ج6 ص287 .**
**(16) انظر : مجموع الفتاوى ، ج23 ص162 ، 164 .**
**(17) المسند ، ج2 ص38 ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، والترمذي ، ح/ 1559 ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ، ح/261 .**
**(18) انظر : الفتاوى ، ج23 ص161 .**
**(19) ح/4606 .**
**(20) انظر : لطائف المعارف ، ص486 ، 487 .**
**(21) رواه أبو داود ، ح/2419 ، وانظر صحيح سنن أبي داود ، ح/2144 .**
**(22) أخرجه مسلم ، ح/1163 .**
**(23) أخرجه مسلم ، ح/1348 .**
**(24) انظر : التمهيد لابن عبد البر ، ج1ص120 .**
**(25) مسلم ، ح/1162 .**
**(26) المسند ، ج1ص329 ، وصحح أحمد شاكر إسناده ، ح/3042 .**

(27) الترمذي ، ح/2837 ، ومالك ، ج1ص422 ، ح/246 ، وصححه الألباني .
(28) التمهيد ، ج6ص41 .
(29) مجالس عشر ذي الحجة ، لعبد الله الفوزان ، ص970 .
(30) انظر : الفتح ، ج2ص535 ، والفتاوى ج24ص220 .
(31) سن أبي داود ، ح/1945 ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ح/ 1714 ، والبخاري ، ح/4657 تعليقا .
(32) سنن أبي داود ، ح/1765 ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ح/ 1552 ، ويوم القر هو : اليوم الذي يلي يوم النحر ، سمي بذلك لأن الناس يقرون فيه بمنى .
(33) لطائف المعارف ، ص482 ، 483 .
(34) انظر : الأركان الأربعة ، ص60 .
(35) وسميت أيام التشريق ؛ لأن الناس يشرقون فيها لحوم الهدي والأضاحي ، أي : يقددونها وينشرونها في الشمس .
(36) البخاري تعليقا ، وله إسناد صحيح ، الفتح ج2ص530 .
(37) تفسير القرطبي ، ج3ص3 .
(38) أخرجه أبو داود ، ح/2419 ، وانظر صحيح سنن أبي داود ، ح/2114 .
(39) انظر : فتح الباري ، ج2ص532 ، 533 .
(40) أخرجه مسلم ، ح/1141 .
(41) انظر : لطائف المعارف ، ص504 .
(42) انظر : نيل الأوطار ، ج3ص389 .
(43) انظر : لطائف المعارف ، ص501 ، 502 .

## مذكرات قارئ

# شكوى من الذاكرة

**بقلم : محمد بن حامد الأحمري**

كلنا في الهم شرق ، كلمة يقولها لك زميلك عندما تشتكي إليه من ضعف
الذاكرة ، وتبدد المعلومات ، وتفلت القرآن والحديث ، ونسيان أسماء الأصدقاء ،
وضياع المواعيد ، وأمور العامة إذا نسوا تهون ، ولكن مصيبة المثقفين بذاكراتهم
كبيرة ، وكنت أظن أن لا سبيل لي إلى العلم والمعرفة لضعف في الذاكرة ، وكنت
أحسب نفسي ولم أزل منهم ، وأقول عليك بمغادرة قاعة المعرفة والقراءة ، فهذه
لقوم ليسوا مثلك ، إنها لأولئك الذين يحفظون فلا ينسون ، وتعرض عليهم الأمور
فلا تغادر أذهانهم ، ثم كانت لي جولات في ميدان القراءة فوجدت علماء نجباء
تفوت عليهم الاستدلالات في كتب مكتوبة ومواقف مشهودة ، ينسون ما لا أعذرهم
آنذاك بنسيانه ثم قرأت في تراجم الرجال ما شجع الضعف وهزه للعمل
وعدم اليأس ، فذاك الفذ الكبير لم يحفظ القرآن ، وذاك العالم النحرير ضعيف في حفظه ،
وطعنوا في أبي حنيفة فتألمت له وفرحت لنفسي ، ومع السنين كانت الذاكرة تضعف
وشواهد الخلل تتزايد ، حتى لكأنه الشخص يفرح بها أيما فرح ، يقول زكي نجيب
محمود [*] في (الكوميديا الأرضية) : ( ... ما أشقاني بهذه الذاكرة الضعيفة العاجزة
التي توشك أن تبدد لي كل ما قد وعيت وخبرت في أعوامي السوالف ، فلا تبقي لي
من ذلك شيئاً ، وإني لأعلم من ذاكرتي هذا الضعف الشديد ، وهذا الإسراف في
تبديد الودائع ، حتى لتراني أتحوط لها بكل ما يشير به علماء النفس من وسائل ،
فأشدد الروابط بين أجزاء الشيء المحفوظ ، وأضع تحته الخطوط ، و أوضحه في
هوامش الكتب برموز وعلامات وملخصات ، لكن هيهات للغربال أن يحفظ في
جوفه ماء ، تراني أقرأ الكتاب ، فلا تمضي أيام قليلة بعد الفراغ منه حتى يذهب

عني ، وتذهب كل آثاره ، فلا عنوانه هناك ولا اسم كاتبه ، ولاشيء من
مكنونه ،
فالرأس بعده خلاء خواء كما كان قبله ، فلا زيادة به إن لم يكن نقصان)
[1]
.
وبعد أن أطال في الشكوى تذكر القصة التي قرأها كما يقول ، قبل ثلاثين
عاماً ، فإذا به يذكرها ويكتب تفصيلاتها ، وعجبت لجوره على ذاكرته مع أنها
كانت له وفية رغم تباعد السنين .
وقد قرأت من قبل لعدد من العلماء والمشاهير وكبار الفلاسفة شكواهم المرة
من ذاكراتهم .
وحصيلة هذه التجارب : أن الحفظ نسبي ، وكلّ يشعر بمقدار نقصه كلما زاد
سهمه من القدرة على الحفظ والتذكر ، أما الكثير ممن يعانون ضعفاً أكبر فإنهم غالباً
لا يشعرون بالمشكلة التي يعانونها ، وعلى النقيض أولئك الذين يقنعون أنفسهم
بضعف القدرة على الحفظ ، ويدمرون قدراتهم بإشعار أنفسهم أن لا مجال لتطوير
القدرة على الحفظ ، فهؤلاء ربما كان لهم نصيب من القدرة لو قدروا وحافظوا
ودربوا ذاكراتهم .
ومما أزيدك هنا بيانه أن مما علق بذاكرة كاتب هذه السطور من وسائل
التذكر ، وهي كثيرة :
أن تكرر النص المطلوب حفظه وترجع له مرات في غير وقت الحفظ
الأول ، وأن تجعل للنص رايات شاهرات ككلمة غريبة تضع عليها علامة وتبرز تلك
القضية أو اسم شخص أو مكان ، وهذه العلامات تدلك على مسالك النص . ويذكّر
المهتمون بهذا العلم إن كان به علماً أن تتصور النص أو القائل أو الأشخاص وتجسم
هذه المعلومات ، ثم يربط بينها بشيء ، كما يقولون لو كنت تريد شراء عدة
أغراض مثلاً : بصل ، طماطم ، سكر ، حليب فما عليك إلا أن تتصور ابنك في
فمه رضاعة ، وبيده اليمنى طماطم ، واليسرى بصل ، وقد نثر كيس السكر ،
تركب هذه الصورة في الذاكرة ثم تذهب ، ولا أظن أنك لو تعودت هذه الطريقة أنك
سوف تنسى .

وينصحون أيضاً باستخدام النص المراد حفظه سواء أكانت كلمة في لغة جديدة
تتعلمها ، أو حديث مهم تحب حفظه ؛ فالاستخدام للنص يعين على الحفظ .
وبعد سياق كل هذه الإرشادات والنصائح تذكر أن كاتب هذه الأسطر لولا أنه
يعاني من سوء الحفظ ومشكلة الذاكرة لما كتب هذا .

---

**(*) ما نقله الكاتب عن د زكي نجيب محمود مما تشترك فيه القرائح ، ولا يحمل شيئاً من أطروحات الدكتور الفلسفية والعلمانية ، وقد سبق للمجلة أن تناولت أفكار الدكتور المذكور بالنقد ، انظر : العددين (69) ، (70)**
**- البيان - .**
**(1) الكوميديا الأرضية ص 87 .**

منتدى القراء

## بضاعتنا .. متى ترد إلينا

فايز خالد جنينة

دخلت يوماً مكتب أحد أعضاء هيئة التدريس وذلك يوم أن كنت في الجامعة
لأسأله عن أشياء في المقرر . كان الأستاذ مشغولاً بأمر ما على الهاتف ،
فأشار لي : بأن أجلس وأنتظره قليلاً ، تحول انتباهي كله أثناء ذلك إلى ورقة قد علقها هذا
الأستاذ الفاضل خلفه ، كانت مكتوبة باللغة الإنجليزية . وإليكم ملخص ما ذكر في
هذه الورقة :

### عشر خطوات عليك أن تتبعها لتكون مثاليًّا في تعاملك مع الآخرين :

1- ابتسم . 2- تكلم بهدوء . 3- أعط متحدثك جل اهتمامك عند تحدثك إليه
أو تحدثه إليك . 4- لا تقاطع محدثك ... إلى آخر هذه التعليمات الجميلة ، وأعتذر
إليك أخي الكريم عن عدم تذكري لباقي هذه التعليمات المفيدة .

حقّاً لقد ملكت هذه الورقة على مشاعري ، وأعجبتني كثيراً وأنا في ذلك
الموقف ، وأحسست أنها ورقة مثالية قد علقها رجلٌ مثالي ، ولا يطبقها إلا من كان
مثاليّاً ، ولكن هناك أمر آخر نال اهتمامي أكثر وأكثر وأتمنى منك أخي القارئ أن
تشاركني هذا الاهتمام :

لقد تذكرت أن هذه الورقة الرائعة قد كتبها أُناس يتكلمون بلغة غير لغتي
ويدينون بدين غير ديني مع أنني أجد في ديني العظيم دليلاً صحيحاً على كل مبدأ
فيها : فأولها يذكرني بحديث المصطفى : (وتبسمك في وجه أخيك صدقة) .

وثانيها يذكرني بقول الحق (جل علاه) : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن
صَوْتِكَ إنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ ﴾ [لقمان : 19] .

وثالثها يذكرني بهدي رائع من القدوة الكريم (عليه أفضل الصلاة و التسليم) ،
وهو : أنه كان يلتفت إلى من يحدثه بكامل جسده ، وليس بوجهه فحسب ، كما ورد
عنه .

ورابعها يذكرني بقولٍ ورد عن أحد الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين)

عندما وصف مجالسهم عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : ( .. و كنا إذا
تكلم منا أحد أنصت له الباقون كأن على رءوسهم الطير) .

وخامسها و سادسها و سابعها ... إلخ .

كانت كلها على هذه الشاكلة أو قريبة منها جدّاً على ما أذكر .

بعد هذا و ذاك يدور الآن في خلدي سؤال أظنه في غاية الأهمية ، ألم يقل الله
(جل وعلا) : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [ محمد : 24 ]

إذن أخي الكريم من الذي على قلبه الأقفال ؟ أهو الذي يدين بغير دين الله
الذي ارتضاه (سبحانه) ، ولكنه يدعو لرسم نظام حياته منه ، مع تمسكه بكفره
وعناده وضلاله ، أم الذي دان لهذا الدين الحق الكامل ، ولكنه ترك تعاليمه ومبادئه ،
واغتر بغيره من الزيغ والضلال .. ؟ ! !

---

**(*) تفسير ابن كثير ، ج1ص477 . (هامش غير مشار إليه . ماس)**

## ثمرة الفؤاد

سعيد بن جمهور الزهراني

كم يشتد حنين المرء حين تستقر به الحياة ، ويطول عمره ، ويقرب أجله ،
ويشرف على الرحيل ، إلى ولِدٍ من نطفته ، يمد من عمره القصير ، ويخلفه بعد
الرحيل ، يحمل اسمه ، ويكون له أثراً يدل عليه ( إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله
إلا من ثلاث .. ) منها ولد صالح يدعو له ، نعم .. إن المال والبنون زينة ، ﴿ المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف : 46] زينة ولكنهم ثمرة للفؤاد ، وفلذات
للأكباد ، وبسمات للوجود ، و زهرات الحياة ، هم جنى البشرية الشهي ، وقطفها
الزكي ، وعبيرها الفواح ، هم بقاء للبشرية وامتداد لها ، واستخلاف في الأرض واستثمار لها ، وبناء للحياة واستمرار لها . فحب الولد والحنين إليه حقيقة كائنة في
كيان كل إنسان سوي ، وساكنة في كل ضمير حي ، تتفق مع النظام الإلهي والبقاء
والاستمرارية في حياتنا الزائلة ...

ولكننا في عصرنا وحضارتنا المليئة بالعادات الوبيئة ، والوسائل الإعلامية
الخليعة والمستوردة بأنواعها ، جعلنا من أبنائنا و فلذات أكبادنا عرضة للانحرافات
الخلقية والعادات السيئة ، التي لا ينقذنا منها ( بعد الله) سوى التمسك بتعاليم
الإسلام السمحة ، والابتعاد عما يتلوث به الأبناء ، وذلك بحسن التربية (تربية
الإسلام) ، حتى يكون لنا الأجر والثواب ، ولهم الصلاح و العفاف ، والبعد عن
الرذيلة .

وتربية الأولاد مسؤولية عظمى ، سوف نسأل عنها أمام الله (عز وجل) .

فاتقوا الله في الأبناء ، وارحموهم أيها الآباء ، واعلموا أنكم مسؤولون عن
هذا التحلل والتأثر بأخلاق الشرق والغرب .

---

# زمن .. لماذا ؟

**أم مجاهد**

- لماذا نرهق أنفسنا في هذه الحياة بالتفكير في تفاهات الآخرين .. وتعمى أبصارنا عن تفاهات أنفسنا ؟ .
- لماذا نجعل من الزمن شماعة نعلق عليها ضعفنا ومآسينا ؟
- لماذا نصنع من العزلة سدًّا عن السيول المنهمرة من مآقينا ؟
- لماذا يعني العمر عندنا لحظة (إن عشناها يوماً) لا نبالي بالشهور ؟
- لماذا نضيء الشموع ، ومن ضياها نحترق ؟
- لماذا نظن بأن الظلام هو الذي يسمع شكوانا واليد التي تمسح أدمعنا ؟
- لماذا يجرحنا شوك الورد .. ولا ينعشنا أريج العطر ؟ .
- لماذا نجد في الذكرى ألماً وأطلالاً حزينة .. ولا تزرع فينا حافزاً وعبرة تنجينا ؟
- لماذا نركض خلف السراب .. بينما تجف أنهارنا العذبة هجراً ؟
- لماذا نجعل من الصمت حاجزاً عن الصدع بالحق - ولا نجعل منه صرحاً عن فضول الكلام ؟
- لماذا تفيض سيول أدمعنا لفراق الأخلّاء .. ونبخل بدمعة صغيرة من خشية الله ؟
- لماذا نسمع همس الحبيب .. ونصمّ آذاننا عن صرخة ثكلى وأنّة شيخ ؟
- لماذا ترتفع أكفّنا ضراعةً .. فتنجلي المحنة .. ثم بها نعود نصفع بعضنا بعضاً ؟ .
- لماذا تتضاعف أعداد المهاجرين .. بينما ينقرض الأنصار ؟

---

بريد البيان

## وفاة عالم جليل

وصلنا من الأخ د . علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل ترجمة لفضيلة الشيخ
العلامة / (أبو محمد بديع الدين الشاه السندي) مُحَدّث السند ببلاد الباكستان ، الذي
وافاه الأجل ليلة الأربعاء 19/8/1416هـ بكراتشي عن عمر يناهز نيفاً وسبعين
عاماً ، والعالم الفقيد ممن اعتنوا بالتعليم والدعوة والجهاد في بلاد السند والباكستان ،
كما نفع الله به كثيراً من المشائخ وطلاب العلم أثناء إقامته في مكة وتدريسه في
المسجد الحرام لخمس سنين ، حيث هاجر إليها عام 1395هـ ، عاد الشيخ (رحمه
الله) بعد ذلك إلى وطنه لمتابعة جهوده الدعوية في نشر العلم وترسيخ دعوة التوحيد
والسنة ، فأسس جمعية أهـل الحديث في السند ، وتولى رئاستها حتى وافاه الأجل .
لقي الفقيد (رحمه الله) جماعة من العلماء ، فتلقى عنهم واستجازهم : كالشيخ / ثناء
الله الآمرتسري ، والشيخ المحدث/ عبدالحق الهاشمي .

خلّف الشيخ وأخوه (رحمهما الله) مكتبتين من أكبر مكتبات الباكستان ، حيث
تزخران بقديم المطبوع وحديثه ، مع أصول المخطوطات ومصوراتها .

للشيخ (رحمه الله) مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة باللغات العربية والأردية
والسندية ، منها : التوحيد الخالص ، وفتاوى كثيرة ، ومسائل متعددة .

**رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته .**

---

# الورقة الأخيرة

## مع الشجاعة .. نزلة أخرى

**بقلم :د .محمد بن ظافر الشهري**

منذ بضع سنوات والعصابات الصليبية المجتمعة في البوسنة تتفنن في ابتداع
ضروب من التعذيب والإبادة ؛ دونها ما أثر عن محاكم التفتيش في الأندلس
المضاع ، ولقد يئست تلكم العصابات وأعوانها وكثير ما هم من استئصال شأفة المسلمين بحد
الحسام ؛ فمالت إلى (السلاح/السلام) ! !

ولما كانت الضحكات المتشنجة التي تعالت من (دايتون) إلى (زغرب) و(بلغراد) مرورا ب (لندن) و (باريس) تكفينا عناء البحث عن الخاسر الوحيد في
هذه العملية (التاريخية) كما وصفها عرابوها ؛ فإننا نكتفي بالوقوف عند البند الذي
شدد كما هو حال جل المؤتمرات الدولية اليوم على ضرورة التصدي لـ
(المتطرفين) الإسلاميين ، ووجوب طردهم من تلكم الأرض .

لقد كثرت الألقاب التي تطلق على هؤلاء النفر ، فقد كانوا في أفغانستان
المجاهدين الأبطال الذين يحاربون الملحدين الروس ، فلما شهدت جروزني على
تحسن سجل الروس في حقوق الإنسان ! ! تحول اللقب من (المجاهدين) إلى
(الأفغان العرب) الذين لا هم لهم إلا قلب أنظمة العسكر (الانقلابية المعتدلة) ، ثم
كان الإرهاب خاتم الألقاب ..

إن من السفه أن نعاتب الغرب (الصليبي) على مكافأة العصابات من بني دينه
على الجهود المبذولة طيلة السنوات الأربع الخالية ، ولكن من الواجب أن نعاتب
(البوسنيين) على الرضى بمعاقبة إخوانهم الذين جاءوا إليهم يحملون الأرواح على
الراح .. ليذبوا عن دماء المسلمين وأعراض المسلمات ، ثم يقال لهم وقد بذلوا
أنفسهم رخيصة : اخرجوا وإلا .. ! !

هب أن (البوسنيين) قالوا لمن أعانهم بالمال من المسلمين : لا أخلف
الله عليكم ، إذن لاشتد النكير عليهم والتوبيخ لهم ، فأين هذا المثال
من واقع الحال ؟ ! ..

وليس الجود بالمال من الجود بالنفس في شيء ، وليس الجحود باللسان بأنكى من
مقابلة الإحسان بحد السنان ..

لست أزعم أنني أعلم من (البوسنيين) بواقع حالهم ، ولست أجهل أنهم ذاقوا
مرارة العدوان حسّاً وذقتها معنى ، وقبل هذا وذاك سأقدم حسن الظن معللاً النفس
بأن الحرب خدعة ، وأن ليس كل ما يعلم يقال .. ولا كل ما يقال يفعل .. ولكنني
كلما تعالت الضحكات الآنفة الذكر ، وتقاطرت الأمداد تحمل الصلبان ؛ راودني
الظن ، وأعوذ بالله من سوء الظن أنني أقرأ نسخة منقحة ، ومزيدة من (سلام الشجعان) ...

---

**تمت بعون الله والحمد لله**